جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالقاهرة

تكريم الله للإنسان
في ضوء آيات من القرآن

دكتور
كرم معروف محمود معروف
مدرس التفسير وعلوم القرآن بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وآله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين وبعد:

فإن أجلّ علم صرفت فيه الهمم، علم الكتاب المنزل ، إذ هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فيه الهدى والشفاء، والرحمة والبيان، والموعظة الحسنة والتبيان، فلو أنفقت فيه الأعمار ما أدركت كل غوره، ولو بذلت الجهود كلها ما أنضبت من معينه شيئاً يذكر، ومن هنا اجتمعت كلمة علماء الأمة على العناية بتفسيره، وبيانه ودراسته، واستدرار كنوزه ، والنهل من معينه العذب النمير.[1]

ومن أهم مقاصد القرآن الكريم تكريم الإنسان :

أولا بتكريم أصله وهو آدم عليه السلام وقد بدأ هذا التكريم منذ النفخة الأولى حيث خلقه الله بيده وأمده بالعلم والمعرفة وأسجد الملائكة له وعلمه الأسماء كلها قال الله تعالى :(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)[2]

وقال ﷻ :(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)[3] .

وثانيا بتكريم بني جنسه جميعا لقوله ﷻ :(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)[4]

واستمر التكريم الإلهي للإنسان بتكليفه بعمارة الأرض وإقامة الخلافة وحمل الأمانة بعد أن أبت الجبال والأرض والسماء أن تقوم بحمل هذا العبء قال تعالى (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ

---

[1] في الصحاح: ماء (نمير) بوزن سمير أي ناجع عذبا كان أو غير عذب مختار الصحاح تحقيق يوسف الشيخ محمد نشر المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا ط الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

[2] سورة البقرة الآية (٣٤)

[3] سورة البقرة من الآية (٣١)

[4] سورة الإسراء من الآية(٧٠)

إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) [١]

ومن التكريم أن وهب الله الإنسان العقل وميزه به وجعله محور التكليف وأساس التشريف ، وجاءت الآيات الكريمة تتحدث في عشرات المواضع عن العقل والتفكر وتنمية القدرات العقلية والحفاظ على العقل من كل ما يحجبه عن دوره الأساسي وكم تكرر في القرآن " لعلكم تعقلون " قال تعالى (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [٢] ،وقال تعالى (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [٣]

ولما منح الله العقل للإنسان ترك له حرية الاختيار وهذه إحدى جزئيات التكريم لدرجة أن ترك له حرية اختيار الكفر على أنوار الإيمان قال تعالى:(فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) [٤] على أن يتحمل الإنسان نتائج اختياره في الدنيا والآخرة .

وقرر القرآن أنه (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) [٥]

وخاطب الرسول ﷺ بقوله (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) [٦]

وبقوله (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) [٧]

كل ذلك مع دعوة القرآن أن يجمع الإنسان إلى فضيلة العقل وحرية الاختيار فضيلة التعقل وحسن الاختيار قال الله ﷻ :(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [٨]

ومن ثم جاءت الكليات الخمس" الدين ، النفس ، المال ، العرض ، العقل" مشتقة من التكريم للإنسان حفاظا على حياة مستقرة تؤمن فيها الضرورات ليؤدي دوره في الحياة .

ومن التكريم أيضا أن اختار الله الرسل عليهم السلام من عنصر البشر ليكون البشر في هذا المقام العالي وهو مقام التلقي عن الله بما يصلح المجتمع وهذه منة عظيمة من الله عبر عنها القرآن (لَقَدْ مَنَّ

---

[١] سورة البقرة من الآية (٣١)

[٢] سورة البقرة الآية (٢٤٢)

[٣] سورة الزخرف الآية (٣)

[٤] سورة الكهف من الآية (٢٩)

[٥] سورة الكهف من الآية (٢٩)

[٦] سورة الغاشية الآية (٢٢)

[٧] سورة ق الآية (٤٥)

[٨] سورة الحج الآية (٤٦)

اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [١]

وبالرغم من كل هذا التكريم وتفضيل الله للإنسان على غيره من المخلوقات يجد المرء في بعض الأحيان معاملة الإنسان لأخيه الإنسان لا تكون على المفهوم السمح للإسلام ، فتجد البعض يسخر من البعض الآخر ويقلل البعض من شأن البعض الآخر من منطلق القوة الزائفة أو التفوق الفكري كما يعتقد البعض وينمي الشيطان والعياذ بالله هذا الشعور في الإنسان عند الغضب أو رغبة في المفاخرة والقدرة ناسيا أو متناسيا قول الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [٢]

مما تقدم تظهر قيمة هذا الموضوع وأهمية الدراسات حوله ، وتأتي هذه الدراسة كي توضح أهم مظاهر تكريم الإنسان التي حث عليها القرآن الكريم.

وقد جعلت هذا البحث تحت عنوان : (**تكريم الله للإنسان في ضوء آيات من القرآن**)

---

[١] سورة آل عمران الآية (١٦٤)

[٢] سورة الحجرات (١١)

وقسمت البحث إلى تقديم وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة

أما التقديم فذكرت فيه أهمية الموضوع وخطة البحث .

وأما التمهيد فبينت فيه معنى التكريم لغة واصطلاحا .

المبحث الأول بعنوان :تكريم الله للإنسان

وقد تحدثت فيه عن المظاهر الآتية :

أولا: اختصاص الله تعالى بأن خلق الإنسان بيديه

ثانيا: خلقه ﷻ الإنسان في الصورة الحسنة والقامة المعتدلة

ثالثا: منحه العقل والنطق والتمييز

رابعا: تسخير ما في السماوات والأرض للإنسان

خامسا: تكريم الله للإنسان بتفضيله على كثير من خلقه

سادسا: تكريم الله للإنسان بتحميله الأمانة ونفي الجبر عنه وإعطائه الحرية الكاملة

سابعا: تكريم الله للإنسان بمحبته له وهدايته إياه بإرسال الرسل-عليهم السلام.

ثامنا: حب الله للإنسان وذكره في الملأ الأعلى

تاسعا: معية الله للإنسان

عاشرا: تكريم الله للإنسان بحفظه ورعايته من السوء

حادي عشر: تكريم الله للإنسان بتحريم دمه وماله وعرضه

ثاني عشر: إعطاؤه حق المساواة لكل فرد مع الآخرين

ثالث عشر : تكريم الإنسان عند موته

رابع عشر : التكريم الأعظم في الآخرة

المبحث الثاني : تكريم الإنسان لنفسه

وقد تحدثت فيه عن المظاهر الآتية :

أولا : تكريم الإنسان نفسه بالعلم والمعرفة

ثانيا : تكريم الإنسان نفسه بالحفظ والصيانة والتزكية

ثالثا : تكريم الإنسان نفسه بالعبادة والطاعة

رابعا : تكريم الإنسان نفسه بالأخذ بالأسباب

المبحث الثالث : تكريم الإنسان لبني جنسه

وقد تحدثت فيه عن المظاهر الآتية :

أولا : تكريم الوالدين
ثانيا : تكريم ذوي الأرحام
ثالثا : تكريم الإنسان لأخيه الإنسان
رابعا : تكريـم الـمرأة
خامسا : تكريم الأقليات في المجتمع الإسلامي

الخاتمة وبينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث ، ثم ذكرت فهرسا للمصادر والمراجع وآخر للموضوعات التي وردت فيه .

أما منهجي في هذه الدراسة فكان على النحو التالي:

١ـ جمعت الآيات القرآنية ذات العلاقة بموضوع البحث ، سواء أكانت دلالتها صريحة أو متضمنة.
٢ ـ درست تلك الآيات وصنفتها تصنيفاً موضوعياً بحسب مباحث الدراسة.
٣ ـ راجعت أشهر كتب التفسير وأسلمها منهجاً للوقوف على معنى الآية والتأكد من صحة الاستدلال والاستنباط.
٤ ـ حرصت على أن يكون منطلق الدراسة هو آيات القرآن الكريم وسنة النبي الخاتم ﷺ التي جمعتها في الموضوع .
٥ ـ ذكرت قائمة بالمراجع والمصادر التي أفدت منها.
٦ ـ خرجت الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية
٧ ـ خرجت الأحاديث النبوية من كتب الحديث المعتمدة وإذا كان الحديث في البخاري أو مسلم أكتفي بذكر أحدهما .

وبعد : فما هذا إلا جهد مقل ولا أدعي فيه الكمال ولكن عذري أني بذلت فيه قصارى جهدي فإن أكن قد وفقت فذلك فضل من الله وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان وحسبي حسن النية وقد تكون نية المرء خير من عمله ويكفي شرف المحاوله والتعلم

ولا أزيد على ما قال العماد الأصفهاني:

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تمهيد

التكريم لغة واصطلاحا

التكريم لغة:

مصدر قولهم: كرمته أكرمه، وهو مأخوذ من مادة (ك ر م) التي تدل على معنيين:

أحدهما: شرف الشيء في نفسه، أو شرف في خلق من الأخلاق، يقال: رجل كريم، ونبات كريم، وأكرم الرجل: إذا أتى بأولاد كرام، واستكرم: اتخذ عرقا كريما.

والكرم في الخلق: يقال: هو الصفح عن ذنب المذنب.

والآخر: الكرم، وهو القلادة، وسمي العنب كرما لأنه مجتمع الشعب، منظوم الحب [1].

ومن المعنى الأول أخذ تكريم الإنسان في معنى تشريفه وتعظيم شأنه.

وذكر الراغب الفضل والفضيلة من معاني الكرم، وأن من ذلك قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [2] وقوله فيها أيضا:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [3] [4].

وقال الجوهري: التكريم والإكرام بمعنى (واحد) ، والاسم منه الكرامة [5].

وجاء في القاموس: يقال أكرمه وكرمه: عظمه ونزهه.

والكريم: الصفوح، ورجل مكرام: مكرم للناس، وله علي كرامة أي عزازة.

---

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (المتوفى: ٣٩٥هـ) (٥/١٧١_١٧٢) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(2) سورة الإسراء من الآية (٦٢) .

(3) سورة الإسراء من الآية (٧٠).

(4) المفردات في غريب القرآن (٤٦) ط دار القلم،الدار الشامية بيروت ط الأولى ١٤١٢ هـ

(5) الصحاح للجوهري (المتوفى: ٣٩٣هـ) (٥/ ٢٠٢١) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ط: دار العلم للملايين – بيروت ط الرابعة - ١٩٨٧ م.

واستكرم الشيء: طلبه كريما، أو وجده كريما، وتكرم عنه وتكارم: تنزه.
والمكروم، والمكرمة، والأكرومة: فعل الكرم، وكرم السحاب تكريما كثر ماؤه.
والكريمان: الحج والجهاد، ومنه قوله ﷺ «خير الناس مؤمن بين كريمين»[1]
قيل معناه: بين فرسين يغزو عليهما، أو بعيرين يستقى عليهما[2]
وقال ابن الأثير معنى الحديث: بين أبوين مؤمنين، وقيل بين أب مؤمن هو أصله، وابن مؤمن هو فرعه .
والكريم: هو الذي كرم نفسه عن التدنس بشيء من مخالفة ربه.
والتكرمة: الموضع الخاص لجلوس الرجل من فراش أو سرير مما يعد لإكرامه، وهي (على وزن) تفعلة من الكرامة[3].
والمكارمة: أن تهدي لإنسان شيئا ليكافئك عليه، وهي مفاعلة من الكرم[4].
وفي اللسان: الكريم فهو الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل.
ويقال: تكرم فلان عما يشينه: إذا تنزه وأكرم نفسه عن الشائنات، والمكرم المتكرم على كل أحد، والتكرم (أيضا) تكلف الكرم .
وكريمة القوم، كريمهم وشريفهم .
وفي الحديث: إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه» [5]. [6]

---

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ت: ٢٤١هـ باب رجل من أصحاب النبيﷺ حديث رقم (٢٣٦٤٩) (٥٦/٣٩) المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

[2] القاموس المحيط (١٤٨٩) ط. بيروت.

[3] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) (٤/ ١٦٨) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

[4] المرجع السابق (١٦٧) .

[5] لسان العرب (١٢/ ٥١٢) ط. بيروت، وانظر أيضا: النهاية (٤/ ١٦٧) .

[6] سنن ابن ماجه ت: ٢٧٣هـ باب الرجل يقال له: كيف أصبحت حديث رقم(٣٧١٢) (١٢٢٣/٢) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي

تكريم الإنسان اصطلاحا:

قال الطبري: تكريم الإنسان (بني آدم) هو تسليط الله ﷻ إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخيره سائر الخلق لهم[1]

وقال القرطبي ما خلاصته:تكريم الإنسان هو ما جعله الله له من الشرف والفضل وهذا هو كرم نفي النقصان لا كرم المال. [2]

وقال ابن كثير: تكريم الله للإنسان يتجلى في خلقه له على أحسن الهيئات وأكملها وفي أن جعل له سمعا وبصرا وفؤادا، يفقه بذلك كله وينتفع به ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية [3]

وقال أبو حيان: تكريم بني آدم: جعلهم ذوي كرم بمعنى الشرف والمحاسن الجمة، كما تقول: ثوب كريم وفرس كريم أي جامع للمحاسن وليس من كرم المال (في شيء) [4]وقال- رحمه الله- وما جاء عن أهل التفسير من تكريمهم وتفضيلهم بأشياء ذكروها هو على سبيل التمثيل لا الحصر في ذلك.

---

(1) جامع البيان في تأويل آي القرآن للإمام الطبري (١٥/ ٨٥) تحقيق: أحمد محمد شاكر ط مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

(2) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٠/ ٢٩٣) تحقيق أ.د/محمد إبراهيم الحفناوي ، وأ.د/ محمود حامد عثمان ط دار الحديث ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

(3) بتصرف عن تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٥) تحقيق: سامي بن محمد سلامة (٤٣٤/٧) ط دار طيبة ط الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

(4) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٥٨) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر بيروت

المبحث الأول

تكـــريـــم اللــــــه للإنســـــان

لتكريم الله للإنسان صور عديدة أذكر منها ما يلي:

أولا: اختصاص الله تعالى بأن خلق الإنسان بيديه

فالله ﷻ كرم سيدنا آدم ﷺ بخلقه بيده ، وهذا فيه تنبيه على أن هذا الخلق ليس خلقا عاديا من قبيل "كن فيكون"، ولكنه خلق له خصوصية ، هي أن الله باشره بيده ، فهذا تنويه بنفاسة هذا الإنسان وهذا المخلوق .

قال تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) [١]

والمقصود بـ (بَشَرًا) آدم ﷺ ، والمراد بالتسوية : تسوية أعضاء بدنه وأجزائه من العينين واليدين والرجلين وغيرهما ، وتسوية طباعه ، والنفخ في الروح إكمال استعداده لما يحيا به من الروح الطاهرة التي هي من أمر الله ﷻ من غير شرط أن يكون هناك نافخ أو منفوخ .

يقول أبو السعود: {فإذا سويته} أي صورته بالصورة الإنسانية والخلقة البشرية أو سويت أجزاء بدنه بتعديل طائعه {ونفخت فيه من روحى} النفخ إجراء الريح إلى تجويف جسم صالح لإمساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وإنما هو تمثيل لافاضة مابه الحياة بالفعل على المادة القابلة لها أي فإذا كملت استعداده وأفضت عليه ما يحيا به من الروح التي هي من أمري {فقعوا له} أمر من وقع وفيه دليل على أن المامور به ليس مجرد الانحناء كما قيل أي اسقطوا له {ساجدين} تحية له وتكريما)[٢]

---

[١] سورة ص الآية (٧١).

[٢] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (المتوفى: ٩٨٢هـ)(٢٣٦/٧)الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

وقال ﷻ :(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ) [1]

وهذه الآية تثبت أولا : أن الله ﷻ قد حسن كل مخلوق من مخلوقاته ذلك أن جميع المخلوقات مرتبة على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة ، ثم أوضحت الآية ثانيا : أن الله تعالى خلق هذا الإنسان بيديه فبدأ خلق أصله وهو آدم ﷺ من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين أي من خلاصة هذا الماء ثم خصه بتسوية أعضائه ونفخ فيه من روحه وهذا يدل على علو مكانة الروح التي حلت في الإنسان وأن لها منزلة سامية.

يقول الألوسي :(أي حسن ﷻ كل مخلوق من مخلوقاته لأنه ما من شيء منها إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة واستدعته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت في مراتب الحسن كما يشير إليه قوله ﷻ: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) [2]

ثم جعل نسله أي ذريته سميت بذلك لأنها تنسل وتنفصل منه من سلالة أي خلاصة وأصلها ما يسل ويخلص بالتصفية من ماء مهين ممتهن لا يعتنى به وهو المني ثم سواه عدله بتكميل أعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي، وأصل التسوية جعل الأجزاء متساوية، ونفخ فيه من روحه أضاف الروح إليه تعالى تشريفا له كما في بيت الله تعالى وناقة الله تعالى وإشعارا بأنه خلق عجيب وصنع بديع.

وقيل: إضافة ذلك إيماء إلى أن له شأنا له مناسبة ما إلى حضرة الربوبية[3])

---

(1) سورة السجدة الآيات (٧- ٩).

(2) سورة التين الآية (٤).

(3) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) للإمام الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠) (١٢١/١١) تحقيق علي عبد الباري عطية ط الأولى، ١٤١٥ هـ دار الكتب العلمية – بيروت.

ثانيا: خلقه ﷻ الإنسان في الصورة الحسنة والقامة المعتدلة:

من تكريم الله للإنسان خلقه في أحسن صورة من الاعتدال والاستواء وجمّله ظاهرا وباطنا وأعطاه صفاته وصورته ﷻ ومن الآيات التي تدل على ذلك:

قوله تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) [١]

والمراد بالإنسان في الآية الجنس فيشمل المؤمن والكافر.

والتقويم الأحسن هو ما ذهب إليه عامة المفسرين من أن المراد به اعتدال قامته واستواء شبابه لان الله تعالى خلق كل شي منكبا على وجهه وخلق الإنسان مستويا وله يد وأصابع يتناول بها الأشياء وله لسان ذلق يخاطب به .

يقول الألوسي : وأريد بالإنسان الجنس فهو شامل للمؤمن والكافر لا مخصوص بالثاني، واستدل عليه بصحة الاستثناء وأن الأصل فيه الاتصال.

وقوله تعالى في أحسن تقويم في موضع الحال من الإنسان أي كائنا في تقويم أحسن تقويم والتقويم التثقيف والتعديل وهو فعل الله ﷻ ، فمعنى كون الإنسان كائنا في ذلك على ما قيل إنه ملتبس به نظير قولك فلان في رضا زيد بمعنى أنه مرضي عنه.

وقال الخفاجي: هو مؤول بمعنى القوام أو المقوم، وفيه مضاف مقدر أي قوام أحسن تقويم أو في زائدة وما بعدها في موضع المفعول المطلق وقد ناب فيه عن المصدر صفته. والتقدير قومناه تقويما أحسن تقويم والمراد بذلك جعله على أحسن ما يكون صورة ومعنى فيشمل ما له من انتصاب القامة وحسن الصورة والإحساس وجودة العقل وغير ذلك [٢]

يقول القرطبي:في أحسن تقويم وهو اعتداله واستواء شبابه، كذا قال عامة المفسرين،وهو أحسن ما يكون، لأنه خلق كل شي منكبا على وجهه،وخلقه هو مستويا، وله لسان ذلق، ويد وأصابع يقبض بها.

---

[١] سورة التين الآية (٤).

[٢] روح المعاني (م١٥) (٣٩٥/٣٠).

وقـال أبـو بكـر بـن طـاهر:مزينـا بالعقـل، مؤديـا للأمر مهـديا بالتمييز مديد القامة، يتناول مأكوله بيده[1]
وقال ابن العربي:" ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حيا عالما، قادرا مريدا متكلما، سميعا بصيرا، مدبرا حكيما، وهذه صفات الرب سبحانه وعنها عبر بعض العلماء، ووقع البيان بقوله: «إن الله خلق آدم على صورته» .[2]
يعني على صفاته، وفي رواية على صورة الرحمن ، فهذا يدلك على أن الإنسان أحسن خلق الله باطنا وظاهرا، جمال هيئة، وبديع تركيب الرأس بما فيه، والصدر بما جمعه، والبطن بما حواه، والفرج وما طواه، واليدان وما بطشتاه، والرجلان وما احتملتاه.[3]
وقال تعالى (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ) [4]
فالله ﷻ أعطى الإنسان أحسن الصور والأشكال وجعله أفضل جميع مخلوقاته ، ولذلك لا يتمنى أحد من بني الإنسان أن يكون صورته على خلاف ما هو عليه لكون صورته أحسن من سائر الصور في اعتدال وجوده .
والحسن في الآية إما بمعنى الإتقان والإحكام حيث خلقه على أحكم صورة وإما بمعنى حسن المنظر حيث يراه في أجمل صورة .
يقول الشيخ إسماعيل حقي : اي صوركم أحسن تصوير وخلقكم في أحسن تقويم وأودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة فلكم جمال الصورة وأحسن الأشكال ولذا لا يتمنى الإنسان أن يكون صورته على خلاف ما هو عليه لكون صورته أحسن من سائر الصور .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٥٥-٣٥٦)
(2) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن ضرب الوجه حديث (٢٦١٢)(٤/ ٢٠١٧).
(3) أحكام القرآن للقاضي أبو بكر بن العربي المتوفى: ٥٤٣هـ(٤/٤١٥) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
(4) سورة التغابن (٣).

ومن حسن صورته امتداد قامته وانتصاب خلقته واعتدال وجوده ولا يقدح في حسنه كون بعض الصور قبيحا بالنسبة إلى بعض لان الحسن وهو الجمال في الخلق والخلق على مراتب كما قالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان ولكم أيضا جمال المعنى وكمال الخصال. (١)

والحسن في الآية كما قال الرازي يحتمل وجهين :

أحدهما: أحسن أي أتقن وأحكم على وجه لا يوجد بذلك الوجه في الغير، وكيف يوجد وقد وجد في أنفسهم من القوى الدالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته دلالة مخصوصة لحسن هذه الصورة .

وثانيهما: أن نصرف الحسن إلى حسن المنظر، فإن من نظر في قد الإنسان وقامته

وبالنسبة بين أعضائه فقد علم أن صورته أحسن صورة . (٢)

ثالثا: منحه العقل والنطق والتمييز

لقد كرم الله ﷻ الإنسان وشرفه بالعقل والعلم والنطق، ومنحه السمع والبصر والفؤاد، فبه يعي الأشياء ويفقهها ويدرك الحقائق ويعلمها، وينتفع بالنعم التي أغدقها عليه ﷻ، وهداه إلى أنواع من العلم يمكنه أن يتوصل بها إلى سعادة الدارين ،ومنحه العقل والنطق والتمييز.

قال تعالى : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (٣)

ففي هذه الآيات الكريمة بيان جانب من كرم الله ﷻ على الإنسان وفيها تنبيه علي بدء خلق الإنسان من علقة ، وأنه علمه بالقلم ما لم يعلمه.

يقول ابن كثير: فهذه الآيات الكريمات أول شيء نزل من القرآن وهن أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم،

---

(١) روح البيان:لإسماعيل حقي (المتوفى: ١١٢٧هـ) (٦/١٠) الناشر: دار الفكر – بيروت.

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)(م١٥) (٥٥٦/٣٠) ط دار الغد العربي ط الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٣) سورة العلق الآيات (١-٥).

وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان [1]
ويقول الزمخشري : فما لكرمه ﷻ غاية ولا أمد، وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم، حيث قال: (وَرَبُّكَ الأكرم الَّذِي عَلَّمَ بِالقلم عَلَّمَ الإِنسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ) فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو، وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا، ولو لم يكن علي دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به[2].
وروى سعيد عن قتادة قال: القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش[3].
وقال تعالى : (الرَّحْمنُ عَلَّمَ القُرآنَ خَلَقَ الإِنسانَ عَلَّمَهُ البَيانَ) [4]
وقد اختلف العلماء في المراد بالإنسان علي ثلاثة أقوال :
القول الأول : أن المراد بالإنسان آدم ﷺ وإليه ذهب ابن عباس وقتادة والحسن.
القول الثاني : أن المراد بالإنسان محمد ﷺ وإلى هذا ذهب ابن عباس في رواية
أخرى عنه وابن كيسان .
وعلي هذين القولين اختلفوا في المراد بتعليم البيان على أقوال :
فرأى البعض أن المراد بتعليم البيان : تمكين الإنسان من بيان نفسه

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥٢٨/٤) .
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للإمام الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) (٧٦٧/٤) ط دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤١٥هـ ـ١٩٩٥م
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣٦٠/١٠) .
(٤) سورة الرحمن (١-٤)

ومن فهم بيان غيره .
وقيل المراد تعليم أسماء كل شيء ، وقيل علم اللغات كلها .
ويرى فريق إلى أن المراد بيان الحلال والحرام والهدى من الضلال.
وقيل المراد بيان ما كان وما يكون .
وقال الضحاك بيان الخير والشر .
وقال الربيع ابن أنس بيان ما ينفعه وما يضره .
القول الثالث : أن المراد بالإنسان جميع الناس فهو اسم للجنس والبيان علي هذا القول هو الكلام والفهم .
وقال السدي : علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به .
وقال يمان : الكتابة والخط بالقلم.
وذلك لأن الإنسان يمكنه أن يُعرّف غيره كل ما عرفه بخلاف سائر الحيوان، والمراد بخلقه الإنسان إنشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة، ثم أتبع ﷻ ذلك بنعمة تعليم البيان فقال سبحانه: (علمه البيان) لأن البيان هو الذي به يتمكن عادة من تعلم القرآن وتعليمه، والمراد به المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير.
يقول القرطبي : قال ابن عباس وقتادة والحسن يعني بالإنسان آدم ﷺ، (علمه البيان) أسماء كل شي، وقيل: علمه اللغات كلها، وعن ابن عباس أيضا وابن كيسان: الإنسان ها هنا يراد به محمد ﷺ، والبيان بيان الحلال من الحرام، والهدى من الضلال، وقيل: ما كان وما يكون، لأنه بين عن الأولين والآخرين ويوم الدين، وقال الضحاك: (البيان) الخير والشر.
وقال الربيع بن أنس: هو ما ينفعه وما يضره، وقاله قتادة ، وقيل: (الإنسان) يراد به جميع الناس فهو اسم للجنس و (البيان) على هذا الكلام والفهم، وهو مما فضل به الإنسان على سائر الحيوان ، وقال السدي: علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به. وقال يمان: الكتابة والخط بالقلم. [١]
وفي الإرشاد أن قوله تعالى:(خلق الإنسان) تعيين للمتعلم، وقوله سبحانه:(علمه البيان) تبيين لكيفية التعليم، والمراد بتعليم البيان تمكين الإنسان من بيان نفسه، ومن فهم بيان غيره إذ هو الذي يدور

---
[١] الجامع لأحكام القرآن (١٢٩/٩).

عليه تعليم القرآن. [١]

قال ابن كثير: و قال الحسن: يعني: النطق، وقول الحسن ها هنا أحسن وأقوى؛ لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين، على اختلاف مخارجها وأنواعها. [٢]

وبذلك كرم الله الإنسان بالاستعدادات التي أودعها فيه فاستأهل الخلافة في الأرض.

رابعا: تسخير ما في السماوات والأرض للإنسان

والتسخير على ما قال الراغب سياقة الشيء إلى الغرض المختص به قهرا[٣]

والتسخير نوعان :

الأول : تسخير يجعل المسخر بحيث ينفع المسخر له ، وهذا أعم من أن يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله كيفما يريد ، أولا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير أن يكون له دخل في استعماله.

والثاني : تسخير يجعل المسخر منقادا للأمر مذللا فجميع ما في السماوات والأرض من الكائنات مسخرة لله تعالى .

يوضح ذلك الإمام أبو السعود حيث يقول : والمراد إما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له أعم من أن يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله كيفما يريد كعامة ما في الأرض من الأشياء المسخرة للإنسان المستعملة له من الجماد والحيوان أو لا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير أن يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السماوات من الأشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشا أو معادا، وأما جعله منقادا للأمر مذللا

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم(١٦٧/٨)

(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٧٧٤هـ)(٢٧٠/٤) ط دار الغد العربي ـ القاهرة .

(٣) المفردات للراغب الأصفهاني تـ ٥٠٢هـ (٤٠٢/١)طـ دار القلم،الدار الشامية بيروت طـ الأولى ـ ١٤١٢ هـ

على أن معنى لكم لأجلكم فإن جميع ما في السماوات والأرض من الكائنات مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الإنسان حسبما يشاء وإن كان مسخرا له بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر لله ﷻ.[1]

ولقد سخر الله ﷻ للإنسان- تكريما له- ملكوت السموات بما تشتمل عليه من نجوم وشموس وأقمار وجعل في نظامها البديع ما ينفع الإنسان من تعاقب الليل والنهار واختلاف في الفصول ودرجات الحرارة ونحو ذلك، وقد جاءت الأيات الكثيرة التي توضح وتبين أن الله ﷻ سخر للإنسان ما في السماوات والأرض أذكر منها :

قال تعالى:(**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**) [2].

وقال ﷻ:(**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)[3].

والمراد بهذا التسخير هو تمكين الله ﷻ الإنسان من أن يستخدم ما خلقه الله في تطبيقات عملية نافعة له في مجالات حياته المختلفة دون ثمن يدفعه مقابل ذلك، مثل استخدامه لضياء الشمس ودفئها، ومعرفته السنين والحساب بدوران هذه الأفلاك حول نفسها من ناحية وحول بعضها من ناحية أخري.

وقال ﷻ:(**لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**) [4]

وقال ﷻ: (**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ**) [5].

وبمنازل القمر قدر الله ﷻ الأيام والشهور التي يحسب بها عمر الإنسان على الأرض، فقال ﷻ: (**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ**

---

[1] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤٧/٧)

[2] سورةالنحل الآية (١٢)

[3] سورة الجاثية الآية (١٣)

[4] سورة يس الآية (٤٠)

[5] سورة يونس الآية (٥)

مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [1].

وقدر بها فصول السنة التي تحكم محاصيله الزراعية وأمورا عديدة أخرى تعينه على حياته فقال ﷻ:(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا) [2].

وخلق الله ﷻ النجوم والكواكب وأشار إلى عظمتها بقوله تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) [3].

فكانت مواقع النجوم هي وسيلة الإنسان التي يهتدي بها إلى الاتجاهات المختلفة لقوله تعالى: (وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) [4]وبها نحدد جهة القبلة، وهذه كلها نعم في السماء خلقها الله وسخرها للإنسان تكريما له.

وقال تعالى: (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) [5]

وهذه الآيات وغيرها تذكرنا بنعم الله تعالى ووافر كرمه على الإنسان ، بتسخيره له ما في السماوات من شموس وأقمار ونجوم وملائكة وما في الأرض من جبال وبحار وأنهار وأشجار وغيرها مما لا يحصى ، وهذا كله يجر النفع الكثير على الإنسان ، وأكبر دليل على عظمة خلق الإنسان وأهميته عند الله تعالى.

يقول القرطبي :قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ذكر نعمه على بني آدم، وأنه سخر لهم" ما في السماوات" من شمس وقمر ونجوم وملائكة تحوطهم وتجر

---

(1) سورة غافر الآية (٦٧)

(2) سورة الإسراء الآية (١٢)

(3) سورة الواقعة الآيتان (٧٥، ٧٦)

(4) سورة النحل الآية (١٦) .

(5) سورة لقمان الآية(٢٠)

إليهم منافعهم." وما في الأرض" عام في الجبال والأشجار والثمار وما لا يحصى. (وأسبغ عليكم نعمه) أي أكملها وأتمها.[1]
فكل ذلك دليل على عظمة خلق الإنسان وأهميته عند الله تعالى، فكل هذه النعم هي للإنسان خاصة ، وهذا ما تشير إليه كلمة «لكم» في كل الآيات التي وردت وغيرها، فالخطاب موجه للإنسان فقط، إذ لا الملائكة ولا الجان بحاجة إلى الشمس والقمر، ولا إلى الليل والنهار ولا إلى النجوم والكواكب بل كل هذه المخلوقات الكونية مسخرة للإنسان فقط.
وقد يقول قائل إن الحيوان والنبات بحاجة إلى الشمس والقمر والماء والهواء وهذا صحيح،ولكنهما بدورهما أيضا، أي الحيوان والنبات، مسخران للإنسان.
وليس صعباً على الإنسان أن يعقل ويدرك نعمة تسخير الأرض وما فيها وما عليها، فهو يعيش على ظهرها، ينهل من نعيمها، هوائها ومائها، ويأكل من حيوانها وثمارها، ويبني مسكنه من ترابها وحجارتها، ويبحر في بحارها ومحيطاتها، ويسلك أنهارها، ويطير في هوائها، ويستخرج معادنها وزينتها وكل ما فيها، قال تعالى {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}[2] . وفي آية أخرى يقول ﷻ:{ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ}[3] .
فالله خالق الأرض، وخالق الناس، هو الذي سهل للإنسان التمكين في الأرض، والتمكين من ثرواتها ظاهرة وباطنة، وهو الذي مكنه في الأرض بأن منحه العقل ليتفكر ويتدبر أسباب الرزق والمعايش. ولولا تمكين الله للإنسان في الأرض ومعرفة قوانينها ونواميسها وصفاتها ومكوناتها لما استطاع هذا الإنسان القيام بأي تقدم، أو بناء أي حضارة وختمت الآية بـ { قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ }، لأن الناس لا يستطيعون أن يوفوا نعمة الله عليهم حقها من الشكر، وكيف يكون لهم ذلك، فهي أكثر من أن تحصى، ولكن الله يقبل منهم ما يطيقون، ويتوب عليهم.

---

[1] الجامع لأحكام القرآن (٧٣/١٤)
[2] سورة الملك الآية(١٥)
[3] سورة الأعراف الآية(١٠)

خامسا: تكريم الله للإنسان بتفضيله على كثير من خلقه

إن الإنسان هو أفضل مخلوقات الله، حتى لقد قيل انه أفضل من الملائكة وتكريم الله للإنسان وتفضيله على غيره من الخلق هو بما وهبه الله ﷻ من ملكة وطاقة العقل الذي به يدرك الأشياء المحيطة به ويدرك الحياة التي يعيشها ويدرك علاقته بهذا الوجود ، مما يجعله المخلوق القادر على التفكير والإبداع في هذه الحياة الدنيا .

قال تعالى: (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**) [١]

فهذا نص من الله ﷻ فيه تكريم لبني آدم وتفضليهم علي كثير من الخلق وقد اختلف العلماء في المراد من هذا التكريم علي أقوال منها :

فقيل إن هذا التكريم هو أن يأكل بيده وسائر الحيوان يأكل بفمه وهذا القول حكاه الإمام الطبري عن ابن عباس والكلبي ومقاتل .

وقيل : إنه بالنطق والتمييز وهذا مروي عن الضحاك

وعن عطاء : أنه بتعديل القامة وامتدادها.

وعن يمان : أنه بحسن الصورة .

وعن محمد بن كعب بأنه جعل محمدا ﷺ منهم.

وقال الطبري بتسليطهم علي سائر الحيوان وتسخير سائر الخلق لهم وهذه الأقوال ذكرها الإمام القرطبي ثم رجح أن التفضيل إنما هو بالعقل الذي هو عمدة التكليف .

يقول القرطبي : قوله تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم) لما ذكر من الترهيب ما ذكر بين النعمة عليهم أيضا،" كرمنا" تضعيف كرم، أي جعلنا لهم كرما أي شرفا وفضلا.

وهذا هو كرم نفي النقصان لا كرم المال، وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة وحسن الصورة، وحملهم في البر والبحر مما لا يصح لحيوان سوى بني آدم أن يكون يتحمل بإرادته وقصده وتدبيره ، وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم

---

[١] سورة الإسراء الآية (٧٠)

والمشارب والملابس، وهذا لا يتسع فيه حيوان اتساع بني آدم، لأنهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان ، ويلبسون الثياب ويأكلون المركبات من الأطعمة ، وغاية كل حيوان يأكل لحما نيئا أو طعاما غيرمركب.

وحكى الطبري عن جماعة أن التفضيل هو أن يأكل بيده وسائر الحيوان بالفم.

وروي عن ابن عباس، ذكره المهدوي والنحاس، وهو قول الكلبي ومقاتل، ذكره الماوردي، وقال الضحاك: كرمهم بالنطق والتمييز.

وعن عطاء: كرمهم بتعديل القامة وامتدادها .

وعن يمان: بحسن الصورة.

وعن محمد بن كعب: بأن جعل محمدا ﷺ منهم.

وقيل أكرم الرجال باللحى والنساء بالذوائب.

وقال الطبري:بتسليطهم على سائر الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم.

وقيل: بالكلام والخط ، وقيل: بالفهم والتمييز.

والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله .[1]

وقال الألوسي بعد أن سرد هذه الأقوال : وقيل وقيل والكل في الحقيقة على سبيل التمثيل ومن ادعى الحصر في واحد كابن عطية حيث قال: إنما التكريم بالعقل لا غير فقد ادعى غلطا ورام شططا وخالف صريح العقل وصحيح النقل .[2]

وعن الفرق بين التكريم والتفضيل يقول الإمام الرازي :

قال في أول الآية:(ولقد كرمنا بني آدم) وقال في آخرها: (وفضلناهم) ولا بد من الفرق بين هذا التكريم والتفضيل وإلا لزم التكرار، والأقرب أن يقال: إنه تعالى فضل الإنسان على سائر الحيوانات بأمور خلقية طبيعية ذاتية مثل العقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المديدة، ثم إنه تعالى عرضه بواسطة ذلك العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة، فالأول هو

---

[1] الجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٩٣- ٢٩٤)

[2] روح المعاني (م١٠) (١٥/ ١١٢)

التكريم والثاني هو التفضيل. [1]

سادسا: تكريم الله للإنسان بتحميله الأمانة ونفي الجبر عنه وإعطائه الحرية الكاملة

وبهذا تحمل الإنسان مسئوليته عن نفسه كأمانة وهو مسئول عنها ، ويكمن فيها عنصر التكليف بحمايتها وصيانتها وتكريمها كفرد وأسرة ومجتمع ، وبهذا التكريم يكون الإنسان قيما على نفسه، محتملا تبعة اتجاهه وعمله، وهذه هي الصفة الأولى التي كان بها الإنسان إنسانا : حرية الاتجاه، وفردية التبعة، وبهذه الحرية استخلف في دار العمل ، ومن العدل أن يلقى جزاء اتجاهه وثمرة عمله في دار الحساب.

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تدل علي هذا المعنى منها :

قوله تعالى: (**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**) [2]

ومعني العرض : الإظهار قال الراغب وعرضت الشيء علي البيع وعلي فلان ولفلان نحو (إنا عرضنا الأمانة) [3]

وهذا العرض والإباء قد يكون حقيقة يعني أنها أعطيت فهما وتمييزا بإدراك خلقه الله فيها فخيرت في الحمل ، وقيل : إنه مجاز ، والمعنى عرضت علي من فيها من أهل السماوات والأرض .

يقول أبو حيان : والظاهر عرض الأمانة على هذه المخلوقات العظام، وهي الأوامر والنواهي، فتثاب إن أحسنت، وتعاقب إن أساءت، فأبت وأشفقت، ويكون ذلك بإدراك خلقة الله فيها، وهذا غير مستحيل، إذ قد سبح الحصى في كفه عليه الصلاة والسلام، وحن الجذع إليه، وكلمته الذراع، فيكون هذا العرض والإباء حقيقة.

---

(1) مفاتيح الغيب(م١٠) (١٤٤/١٩)

(2) سورة الأحزاب الآية (٧٢)

(3) المفردات للراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) (٥٥٩/١) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية دمشق بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٢ هـ

قال ابن عباس: أعطيت الجمادات فهما وتمييزا، فخيرت في الحمل، وذكر الجبال، مع أنها من الأرض، لزيادة قوتها وصلابتها، تعظيما للأمر.
وقال ابن الأنباري:عرضت بمسمع من آدم، ﷺ، وأسمع من الجمادات الإباء ليتحقق العرض عليه، فيتجاسر على الحمل غيره، ويظهر فضله على الخلائق، حرصا على العبودية، وتشريفا على البرية بعلو الهمة.
وقيل: هو مجاز، فقيل: من مجاز الحذف، أي على من فيها من الملائكة.[1]
وقال القرطبي : معنى" عرضنا" أظهرنا، كما تقول: عرضت الجارية على البيع. والمعنى إنا عرضنا الأمانة وتضييعها على أهل السماوات وأهل الأرض من الملائكة والإنس والجن" فأبين أن يحملنها" أي أن يحملن وزرها، كما قال ﷻ:" وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم" [2].[3]
وقد اختلف العلماء في المراد بالأمانة التي ائتمن عليها العباد :
فيرى البعض أنها الفرائض .
ويرى بعضهم أنها أمانات الأموال كالودائع وغيرها .
وقيل :إنها ما ائتمنت به المرأة على فرجها،وقيل :إنها غسل الجنابة.
وذهب بعضهم إلي أن كل شيء أمانة فالفرج أمانة والأذن أمانة والعين أمانة واللسان أمانة والبطن أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له .
وقال بعضهم : هي ائتمان آدم ﷺ ابنه قابيل علي ولده وأهله وخيانته إياه في قتل أخيه.
يقول القرطبي : لما بين تعالى في هذه السورة من الأحكام ما بين، أمر بالتزام أوامره.
والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور.
فالأمانة هي الفرائض التي ائتمن الله عليها العباد.

---
[1] البحر المحيط (٥٠٩/٨)
[2] سورة العنكبوت الآية (١٣)
[3] الجامع لأحكام القرآن (٢٥٣،٢٥٤/١٤)

وقد اختلف في تفاصيل بعضها على أقوال:
فقال ابن مسعود: هي في أمانات الأموال كالودائع وغيرها. وروي عنه أنها في كل الفرائض، وأشدها أمانة المال.
وقال أبي بن كعب: من الأمانة أن ائتمنت المرأة على فرجها. وقال أبو الدرداء: غسل الجنابة أمانة، وأن الله تعالى لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها.
وفي حديث مرفوع (الأمانة الصلاة) [١]
إن شئت قلت قد صليت وإن شئت قلت لم أصل، وكذلك الصيام وغسل الجنابة.
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: أول ما خلق الله تعالى من الإنسان فرجه وقال هذه أمانة استودعتكها، فلا تلبسها إلا بحق، فإن حفظتها حفظتك فالفرج أمانة، والأذن أمانة، والعين أمانة، واللسان أمانة، والبطن أمانة، واليد أمانة، والرجل أمانة، ولا إيمان لمن لا أمانة له.
وقال السدي: هي ائتمان آدم ابنه قابيل على ولده وأهله، وخيانته إياه في قتل أخيه، وذلك أن الله تعالى قال له: (يا آدم، هل تعلم أن لي بيتا في الأرض) قال: (اللهم لا) قال: (فإن لي بيتا بمكة فأته، فقال للسماء: احفظي ولدي بالأمانة؟ فأبت، وقال للأرض: احفظي ولدي بالأمانة فأبت، وقال للجبال كذلك فأبت ، فقال لقابيل: احفظ ولدي بالأمانة، فقال نعم، تذهب وترجع فتجد ولدك كما يسرك، فرجع فوجده قد قتل أخاه، فذلك قوله ﷻ:" إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ". الآية. [٢]
وقال أبوحيان : والأمانة: الظاهر أنها كل ما يؤتمن عليه من أمر

---

[١] تعظيم قدر الصلاة لأبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ) باب تفسير الأمانة (٤٧٩/١)(٥٠٩) الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ ، ومكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ) باب حفظ الأمانة وذم الخيانة(٦٩/١) تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م
[٢] الجامع لأحكام القرآن (٢٥٣،٢٥٤/١٤)

ونهي وشأن دين ودنيا. والشرع كله أمانة، وهذا قول الجمهور.[1]
واختار الألوسي أنها الفرائض حيث قال :وأقرب الأقوال المذكورة للقبول القول بأنها الفرائض أي من فعل وترك، وتخصيص شيء منها بالذكر في خبران صح لا يدل على أنه الأمانة في الآية لا غيره وكم يخص بعض أفراد العام بالذكر لنكتة[2]

أما عن السبب في عدم تحمل السماوات والأرض للأمانة وإشفاقها منها فذلك مراعاة للأمانة والإتيان بما يجب لها ، فلو تحملتها لحصل الجزاء وهو الثواب عند الإحسان والعقاب عند الإساءة فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله ألا يقوموا به .

قال القرطبي : روى الترمذي الحكيم أبو عبد الله:عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: (قال الله تعالى لآدم يا آدم إني عرضت الأمانة على السماوات والأرض فلم تطقها فهل أنت حاملها بما فيها فقال وما فيها يا رب قال إن حملتها أجرت وإن ضيعتها عذبت فاحتملها بما فيها فلم يلبث في الجنة إلا قدر ما بين صلاة الأولى إلى العصر حتى أخرجه الشيطان منها).[3]

وروى معمر عن الحسن أن الأمانة عرضت على السماوات والأرض والجبال، قالت: وما فيها؟ قيل لها: إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت. فقالت لا.

قال مجاهد: فلما خلق الله تعالى آدم عرضها عليه، قال: وما هي؟ قال: إن حسنت أجرتك وإن أسأت عذبتك. قال: فقد تحملتها يا رب ، قال مجاهد: فما كان بين أن تحملها إلى أن أخرج من الجنة إلا قدر ما بين الظهر والعصر.

وروى علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى:" إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال" قال: الأمانة الفرائض،

---

[1] البحر المحيط (٥٠٩/٨)

[2] روح المعاني (٢٧٢/١١)

[3] كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ)باب خلق آدم صلوات الله وسلامه عليه رقم (١٥١٤١) (١٢٣/٦) مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، وجامع الأحاديث للإمام جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) (٦٥/١٥)(١٤٩٦٦) طبع على نفقة: د حسن عباس زكي ، وجامع البيان للطبري(٣٣٨/٢٠)

عرضها الله ﷻ على السماوات والأرض والجبال، إن أدوها أثابهم، وإن ضيعوها عذبهم. فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيما لدين الله ﷻ ألا يقوموا به ،ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها.
قال النحاس: وهذا القول هو الذي عليه أهل التفسير. [1]

واختلفوا في المراد بالإنسان في الآية الكريمة :

فقيل : عني به الكافر والمنافق ، والمعنى أنه كان ظلوما لنفسه جهولا بربه .
وقيل:المراد به آدم ﷺ تحمل الأمانة حتي عصي وأخرج من الجنة
وذهب فريق من العلماء إلي أن المراد من الإنسان العموم .
يقول القرطبي : "وحملها الإنسان" قال الحسن: المراد الكافر والمنافق." إنه كان ظلوما" لنفسه" جهولا" بربه. فيكون على هذا الجواب مجازا، مثل:" وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ"[2].
وفيه جواب آخر على أن يكون حقيقة أنه عرض على السماوات والأرض والجبال الأمانة وتضييعها وهي الثواب والعقاب، أي أظهر لهن ذلك فلم يحملن وزرها، وأشفقت وقالت: لا أبتغي ثوابا ولا عقابا، وكل يقول: هذا أمر لا نطيقه، ونحن لك سامعون ومطيعون فيما أمرن به وسخرن له، قاله الحسن وغيره.
قال العلماء: معلوم أن الجماد لا يفهم ولا يجيب، فلا بد من تقدير الحياة على القول الأخير.
وقال ابن عباس وأصحابه والضحاك وغيره:" الإنسان" آدم، تحمل الأمانة فما تم له يوم حتى عصى المعصية التي أخرجته من الجنة.
وعن ابن عباس أن الله تعالى قال له: أتحمل هذه الأمانة بما فيها. قال وما فيها ؟ قال: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت. قال: أنا أحملها بما فيها بين أذني وعاتقي. فقال الله تعالى له: إني سأعينك، قد جعلت لبصرك حجابا فأغلقه عما لا يحل لك، ولفرجك لباسا فلا تكشفه إلا على ما أحللت لك.
وقال قوم:" الإنسان" النوع كله، وهذا حسن مع عموم الأمانة [3]

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٥٤،٢٥٣)
(2) سورة يوسف الآية (٨٢)
(3) تفسير القرطبي (١٤/٢٣٥) و مفاتيح الغيب (٢٥ /١٨٨،١٨٧) .

وقد رد الألوسي القول بأن المراد بالإنسان آدم عليه السلام حيث قال : وأنا لا أميل إلى القول بأن المراد بالإنسان آدم عليه السلام وإن كان أول أفراد الجنس ومبدأ سلسلتها لمكان (إِنَّهُ كانَ ظَلوماً جَهُولاً) فإنه يبعد غاية البعد وصف صفي الله ﷺ بنص(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ)[1] بمزيد الظلم والجهل، وكون المعنى كان ظلوما جهولا بزعم الملائكة عليهم السّلام قول بارد، وحمله على معنى كان ظلوما لنفسه حيث حملها على ضعفه ما أبت الأجسام القوية حمله جهولا بقدر ما دخل فيه أو بعاقبة ما تحمل لا يزيل البعد .[2]

وقال تعالى (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى) [3]

هذه الآية تبين أن الإنسان لا ينتفع بعمل غيره سواء كان هذا العمل جلبا لمنفعة أو دفعا لمضرة .

يقول أبو السعود : بيان لعدم انتفاع الإنسان بعمل غيره من حيث جلب النفع إليه إثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضر عنه.[4]

وقد استشكل كثير من العلماء هذه الآية وقالوا : إنها تتعارض مع ظاهر الأحاديث التي تفيد وصول ثواب الأعمال الصالحة إلي الميت.

وذلك نحو ما روي عن عائشة رضي الله عنها«أن رجلا قال لرسول الله ﷺ إن أمي افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال: نعم».[5]

و ما روي عن ابن عباس ﷺ أتى رجل النبي ﷺ فقال: إن أختي نذرت لأن تحج وأنها ماتت فقال النبي ﷺ: لو كان عليها دين أكنت قاضيه ؟ قال: نعم قال: فحق الله أحق بالقضاء»[6]

وأجيب عن ذلك بوجوه منها:

---

(1) سورة آل عمران من الآية (٣٣)

(2) روح المعاني (١١/ ٢٧٠ـ ٢٣٧) .

(3) سورة النجم الآيات (٣٩ـ ٤١)

(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٦٣/٨)

(5) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز، باب موت الفجأة البغتة رقم (١٣٨٨) (١٠٢/٢)

(6) صحيح البخاري كتاب الأيمان والنذور باب من مات وعليه نذر رقم (٦٦٩٩) (١٤٢/٨)

أن العبد إذا نوى وصول ذلك الثواب صار بمنزلة الوكيل عنه القائم مقامه فكأنه بسعيه .
أو أنه ليس له بالعدل إلا ما سعى وله بالفضل سعيه وسعي غيره له .
أو أن هذا الحكم كان في قوم إبراهيم وموسى عليهما السلام ، أما هذه الأمة فللإنسان منها سعي غيره .
وقيل أن المراد بالإنسان هنا الكافر أما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره.
يقول الألوسي : قوله تعالى: (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) بيان لعدم إثابة الإنسان بعمل غيره إثر بيان عدم مؤاخذته بذنب غيره .
واستشكل بأنه وردت أخبار صحيحة بنفع الصدقة عن الميت، منها ما أخرجه مسلم والبخاري وأبو داود والنسائي عن عائشة «أن رجلا قال لرسول الله ﷺ إن أمي افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم»
وكذا بنفع الحج أخرج البخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس قال: « أتى رجل النبي ﷺ فقال: إن أختي نذرت لأن تحج وأنها ماتت فقال النبي ﷺ: لو كان عليها دين أكنت قاضيه؟ قال: نعم قال:فحق الله أحق بالقضاء»
وأجيب بأن الغير لما نوى ذلك الفعل له صار بمنزلة الوكيل عنه القائم مقامه شرعا فكأنه بسعيه، وهذا لا يتأتى إلا بطريق عموم المجاز، أو الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يجوزه.
وأجيب أيضا بأن سعي غيره لما لم ينفعه إلا مبنيا على سعي نفسه من الإيمان فكأنه سعيه، ودل على بنائه على ذلك ما أخرجه أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة وأن هشاما ابنه نحر حصته خمسين وأن عمرا سأل النبي ﷺ عن ذلك فقال: «وأما أبوك فلو كان أقرّ بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك»[1]

---

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل رقم (٦٧٠٤) (٣٠٧/١١) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون الناشر:مؤسسة الرسالة ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م وقال المحقق : إسناده حسن، هشيم وحجاج صرحا بالتحديث وأخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" ٣٨٦/٣-٣٨٧ عن هشيم، بهذا الإسناد.

وأجيب بهذا عما قيل: إن تضعيف الثواب الوارد في الآيات ينافي أيضا القصر على سعيه وحده، وأنت تعلم ما في الجواب من النظر.
وقال بعض أجلة المحققين إنه ورد في الكتاب والسنة ما هو قطعي في حصول الانتفاع بعمل الغير وهو ينافي ظاهر الآية فتقيد بما لا يهبه العامل، وسأل والي خراسان عبد الله بن طاهر الحسين بن الفضل عن هذه الآية مع قوله تعالى: (وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ)[1] فقال: ليس له بالعدل إلا ما سعى وله بالفضل ما شاء الله تعالى فقبل عبد الله رأس الحسين.
وقال عكرمة: كان هذا الحكم في قوم إبراهيم وموسى عليهما السلام، وأما هذه الأمة فللإنسان منها سعي غيره يدل عليه حديث سعد بن عبادة «هل لأمي إذا تطوعت عنها؟ قال ﷺ: نعم»
وقال الربيع: الإنسان هنا الكافر، وأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره.
والذي أميل إليه كلام الحسين، ونحوه كلام ابن عطية قال: والتحرير عندي في هذه الآية أن ملاك المعنى هو اللام من قوله سبحانه: لِلإنسان فإذا حققت الشيء الذي حق الإنسان أن يقول فيه لي كذا لم تجده إلا سعيه وما يكون من رحمة بشفاعة، أو رعاية أب صالح، أو ابن صالح، أو تضعيف حسنات، أو نحو ذلك فليس هو للإنسان ولا يسعه أن يقول لي كذا وكذا إلا على تجوّز، وإلحاق بما هو حقيقة انتهى.
ويعلم من مجموع ما تقدم أن استدلال المعتزلة بالآية على أن العبد إذا جعل ثواب عمله أي عمل كان لغيره لا ينجعل ويلغو جعله غير تام وكذا استدلال الإمام الشافعي بها على أن ثواب القراءة لا تلحق الأموات- وهو مذهب الإمام مالك- بل قال الإمام ابن الهمام: إن مالكا والشافعي لا يقولان بوصول العبادات البدنية المحضة كالصلاة والتلاوة بل غيرها كالصدقة والحج.
وفي الأذكار للنووي عليه الرحمة المشهور من مذهب الشافعي ﷺ وجماعة أنها لا تصل.
وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء ومن أصحاب الشافعي إلى أنه تصل.

---
[1] سورة البقرة الآية (٢٦١)

: ١٣

فالاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه اللهم أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان.
والظاهر أنه إذا قال ذلك ونحوه كوهبت ثواب ما قرأته لفلان بقلبه كفى، وعن بعضهم اشتراط نية النيابة أول القراءة وفي القلب منه شيء.
ثم الظاهر أن ذلك إذا لم تكن القراءة بأجرة أما إذا كانت بها كما يفعله أكثر الناس اليوم فإنهم يعطون حفظة القرآن أجرة ليقرؤوا لموتاهم فيقرؤون لتلك الأجرة فلا يصل ثوابها إذ لا ثواب لها ليصل لحرمة أخذ الاجرة على قراءة القرآن وإن لم يحرم على تعليمه كما حققه خاتمة الفقهاء المحققين الشيخ محمد الأمين بن عابدين الدمشقي ، وفي الهداية من كتاب الحج عن الغير إطلاق صحة جعل الإنسان عمله لغيره ولو صلاة وصوما عند أهل السنة والجماعة، وفيه ما علمت ما مرّ آنفا.[1]

وقال تعالى : (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) [2]

أي كل نفس بما كسبت وعملت من خير وشر مرتهنة لا يؤاخذ أحد منهم بذنب غيره، وإنما يعاقب بذنب نفسه.[3]

وقال ابن كثير: (كل امرئ بما كسب رهين) لما أخبر عن مقام الفضل، وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخبر عن مقام العدل، وهو أنه لا يؤاخذ أحدا بذنب أحد، بل (كل امرئ بما كسب رهين) أي: مرتهن بعمله، لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس، سواء كان أبا أو ابنا، كما قال: (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين)[4].[5]

---

(١) روح المعاني (١٤/٦٥،٦٦) وتفسير القرطبي (١٧/١١٤)
(٢) سورة الطور من الأية (٢١)
(٣) جامع البيان تحقيق: أحمد محمد شاكر(٢٢/٤٦٧) طـ مؤسسة الرسالة ط الأولى، ٢٠٠٠ م
(٤) سورة المدثر الأيات (٣٨ ـ ٤١)
(٥) تفسير ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد سلامة (٧/٤٣٤) طـ دار طيبة طـ الثانية ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩ م

سابعا : تكريم الله للإنسان بمحبته له وهدايته إياه بإرسال الرسل - عليهم الصلاة والسلام -

من أجلِّ مظاهر عناية الله بالإنسان، إرسال الرسل بالبينات لعلمه تعالى بأن شهوات الإنسان وأهوائه قد تنحرف بعقله إلى مسالك الشر، ومسارب الانحراف، فكانت بعثة الرسل منة وفضل على الإنسانية جمعاء، ومسايرة للمجتمعات البشرية في تطورها الصاعد، آخذة بيد البشرية إلى أسباب ارتقائها الروحي والمادي.

قال تعالى: (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**) [1]

وقال ﷻ :(**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**) [2]

في هاتين الآيتين الكريمتين وغيرهما يُذكر الله عباده بكرمه عليهم في إرسال الرسل لهدايتهم وإخراجهم من ظلمات الجهالة والضلال إلى نور الهدى والإيمان وأن مهمتهم هي التبشير لمن آمن وأطاع بالجنة والثواب والإنذار لمن كفر وعصى بالنار والعقاب.

يقول الألوسي :(مُبَشِّرِينَ) من آمن وأطاع بالجنة والثواب (وَمُنْذِرِينَ) من كفر وعصى بالنار والعقاب (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ) أي معذرة يعتذرون بها قائلين (لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا) [3] فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من أحكامك لقصور القوى البشرية عن إدراك جزئيات المصالح، وعجز أكثر الناس عن إدراك كلياتها. فالآية ظاهرة في أنه لا بد من الشرع وإرسال الرسل وأن العقل لا يغني عن ذلك[4]

وأرسل لنا خاتم الأنبياء والمرسلين محمدا ﷺ برسالته العالمية لتكريم البشر جميعا، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وهدايتهم

---

[1] سورة غافر الآية (٧٨)
[2] سورة النساء الآية (١٦٥)
[3] سورة طه الآية(١٣٤)
[4] روح المعاني (١٩٣/٣)

٤١٥

إلى صراط مستقيم.
فقال ﷻ: (قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) (١)
وقال ﷻ: (قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) (٢)، وقال ﷻ:(وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً) (٣). وقال تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (٤)
فبين تعالى أن سنته في عبيده إرسال الرسل إليهم، وأمرهم بعبادة الله ونهيهم عن عبادة الطاغوت.

ثامنا: حب الله للإنسان وذكره في الملأ الأعلى:

ومن أروع مظاهر تكريم المولى سبحانه للإنسان، أن جعله أهلا لحبه ورضاه، وأرشده في القرآن الكريم إلى ما يجعله خليقا بهذا الحب.
وأول ذلك اتباع رسول الله ﷺ فيما دعا الناس إليه كي يحيوا حياة طيبة في الدنيا ويظفروا بالنعيم المقيم في الآخرة، فقال ﷻ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (٥).
وقد أشار المولى إلى ثمرة هذا الاتباع وما أحلاها من ثمرة، ألا وهي التمتع بخيري الدنيا والآخرة، مصداق ذلك قوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) (٦).
ومن تلك المظاهر التي يحيا بها البشر، وينعم بها المجتمع الإنساني، وتجلب رضا الله وحبه ما نصت عليه الآيات الكريمة التي أعلنت هذا الحب الإلهي بكل وضوح وقد اتخذ ذلك أشكالا عدة كالآتي:

---

(١) سورة المائدة الأيتان(١٥،١٦)
(٢) سورة الأعراف الأية(١٥٨)
(٣) سورة سبأ الأية (٢٨)
(٤) سورة النحل الأية(٣٦)
(٥) سورة آل عمران من الأية (٣١)
(٦) سورة النحل الأية (٩٧)

١ ـ حبه ﷻ للمحسنين:

قال الله تعالى :(وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [١]

ومضمون الآية كما قال ابن كثير: الأمر بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات، وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم، والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار إن لزمه واعتاده ثم عطف بالأمر بالإحسان، وهو أعلى مقامات الطاعة، فقال: {وأحسنوا إن الله يحب المحسنين} [٢].

وقد ورد إعلان هذا الحب في أربعة مواضع أخرى من الذكر الحكيم[٣]

٢ ـ حبه ﷻ للمتقين:

وذلك قوله ﷻ:(بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) [٤]

في هذه الآية يخاطب الله ﷻ أهل الكتاب مبينا لهم أن من يفي منهم بالعهد الذي أخذه عليهم من الإيمان بمحمد ﷺ وبما جاء به فإن الله يكرمه ويحبه .

يقول ابن كثير : أي: لكن من أوفى بعهده منكم يا أهل الكتاب الذي عاهدكم الله عليه، من الإيمان بمحمد ﷺ إذا بعث، كما أخذ العهد والميثاق على الأنبياء وأممهم بذلك، واتقى محارم الله تعالى واتبع طاعته وشريعته التي بعث بها خاتم رسله وسيد البشر " فإن الله يحب المتقين "[٥]

وجاء مثل ذلك في موضعين آخرين من القرآن الكريم[٦]

---

[١] سورة البقرة من الآية (١٩٥)

[٢] تفسير القرآن العظيم (٥٣٠/١)

[٣] الآيات الواردة في سورة آل عمران (١٣٤، ١٤٨)، وسورة المائدة (١٣، ٩٣).

[٤] سورة آل عمران الآية (٧٦)

[٥] تفسير ابن كثير (٦٢/٢)

[٦] سورة التوبة الآيتان(٤، ٧)

٤ ـ حبه ﷻ للمقسطين:

ذلك في قوله ﷻ:(وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (١)

وفي هذه الآية يأمر الله ﷻ رسوله ﷺ - إذا تحاكم إليه اليهود والنصارى- أن يحكم بينهم بالقسط أي بالعدل إن الله يحب المقسطين.

يقول الألوسي : والمعنى : (وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ) أي بالعدل الذي أمرت به، وهو ما تضمنه القرآن واشتملت عليه شريعة الإسلام، (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) أي العادلين فيحفظهم عن كل مكروه ويعظم شأنهم (٢)

وجاء إعلان هذا الحب لأهل العدل في موضعين آخرين(٣)

٤ ـ حبه ﷻ للتوابين والمتطهرين:

كما في قوله ﷻ:(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (٤)

بعد أن بين المولى ﷻ في هذه الآية أحكام النساء في المحيض ختم الآية بقوله(إن الله يحب التوابين) أي يحب التوابين من الذنب وإن تكرر فعله كما جاء عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم»(٥)

يقول ابن كثير: {إن الله يحب التوابين} أي: من الذنب وإن تكرر غشيانه، {ويحب المتطهرين} أي: المتنزهين عن الأقذار والأذى، وهو ما نهوا عنه من

إتيان الحائض، أو في غير المأتى. (٦)

---

(١) سورة المائدة الآية(٤٢)

(٢) روح المعاني (٣١٠/٣)

(٣) سورة الحجرات الآية (٩)، والممتحنة(٨)

(٤) سورة البقرة الآية(٢٢٢)

(٥) صحيح مسلم كتاب التوبة باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة (٢١٠٥/٤)

(٦) تفسير ابن كثير(٥٨٨/١)

وقال عز من قائل (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) [١]

قال الطبري : يقول تعالى ذكره: في حاضري المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، رجال يحبون أن ينظفوا مقاعدهم بالماء إذا أتوا الغائط، والله يحب المتطهرين بالماء. [٢]

٥ ـ حبه ﷻ للصابرين:

وذلك كما قوله سبحانه (وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) [٣]

والمعنى كما قال الرازي : أن من صبر على تحمل الشدائد في طريق الله ولم يظهر الجزع والعجز والهلع فإن الله يحبه ومحبة الله تعالى للعبد عبارة عن إرادة إكرامه وإعزازه وتعظيمه، والحكم له بالثواب والجنة، وذلك نهاية المطلوب. [٤]

٦ ـ حبه ﷻ للمتوكلين:

وذلك كما قوله الله تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [٥]

يأمر الله ﷻ في هذه الآية نبيه ﷺ وهو الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة لأمته إذا عزم علي فعل شيء أن يمضي عليه متوكلا علي الله تعالى فإنه يحب المتوكلين .

يقول الألوسي : (فَإِذَا عَزَمْتَ) أي إذا عقدت قلبك على الفعل وإمضائه بعد المشاورة(فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) أي فاعتمد عليه وثق به وفوض أمرك إليه فإنه الأعلم بما هو الأصلح، (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

---

[١] سورة التوبة الآية(١٠٨)
[٢] تفسير الطبري (٤٨٢/١٤)
[٣] سورة آل عمران الآية (١٤٦)
[٤] مفاتيح الغيب (٣٨١/٩)
[٥] سورة آل عمران الآية(١٥٩)

متوكلين) عليه الواثقين به المنقطعين إليه فينصرهم ويرشدهم إلى ما هو خير لهم كما تقتضيه المحبة .[1]

٦ ـ حبه ﷻ للمجاهدين المتوحدي الصفوف:

كما في قوله ﷻ {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}[2]. وفي هذه الآية تعليم من الله ﷻ للمؤمنين حال القتال أن يكونوا مصطفين صفوفا متلاصقة متساوية فهذا أدعى إلى قوتهم وثباتهم كالبنيان المرصوص ، وهم على هذه الحالة يحبهم الله ﷻ .

يقول ابن كثير: فهذا إخبار منه تعالى بمحبة عباده المؤمنين إذا اصطفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان.

وعن أبي سعيد الخدري، ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث يضحك الله إليهم: الرجل يقوم من الليل، والقوم إذا صفوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للقتال"[3]

وقال سعيد بن جبير في قوله {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا} قال: كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم، وهذا تعليم من الله للمؤمنين. قال: وقوله: {كأنهم بنيان مرصوص} ملتصق بعضه في بعض، من الصف في القتال.

وقال مقاتل بن حيان: ملتصق بعضه إلى بعض.

وقال ابن عباس: {كأنهم بنيان مرصوص} مثبت، لا يزول، ملصق بعضه ببعض.وقال قتادة: {كأنهم بنيان مرصوص} ألم تر إلى صاحب البنيان، كيف لا يحب أن يختلف بنيانه؟ فكذلك الله ﷻ يحب أن لا يختلف أمره، وإن الله صف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله، فإنه عصمة لمن أخذ به[4]

---

[1] روح المعاني(١٥٠/٢) .

[2] سورة الصف الآية(٤)

[3] الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل مسند أبي سعيد الخدري (١١٧٦١) (٢٨٤/١٨)تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ط : مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

[4] تفسير ابن كثير(١٠٨/٨)

أما ذكره سبحانه للإنسان في الملأ الأعلى :

فقد جاء في القرآن الكريم في قوله ﷻ (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) [1].

كما جاء ذلك في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب مني شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة[2]

يقول الألوسي ـ رحمه الله ـ (فَاذكُرُونِي) بالطاعة قلبا وقالبا فيعم الذكر باللسان والقلب والجوارح، فالأول الحمد والتسبيح والتحميد وقراءة كتاب الله تعالى والثاني الفكر في الدلائل الدالة على التكاليف والوعد والوعيد وفي الصفات الإلهية والأسرار الربانية.

والثالث استغراق الجوارح في الأعمال المأمور بها خالية عن الأعمال المنهي عنها

ولكون الصلاة مشتملة على هذه الثلاثة سماها الله تعالى ذكرا في قوله(فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللَّهِ) [3]

وقال أهل الحقيقة: حقيقة ذكر الله تعالى أن ينسى كل شيء سواه أذكركمْ أي أجازكم بالثواب، وعبر عن ذلك بالذكر للمشاكلة ولأنه نتيجته ومنشؤه. [4]

تاسعا: معية الله للإنسان:

ومن أجل مظاهر تكريمه ﷻ للإنسان تقريبه منه ومعيته له ويتجلى

---

[1] سورة البقرة الآية(١٥٢)

[2] صحيح البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {ويحذركم الله نفسه} (٧٤٠٥) (١٢١/٩) طـ الأولى، ١٤٢٢هـ ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى (٢٦٧٥) (٢٠٦١/٤) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طـ دار إحياء التراث العربي بيروت

[3] سورة الجمعة من الآية(٩)

[4] روح المعاني(٤١٧/١).

هذا القرب في قوله ﷻ: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (١)

وفي مناسبة هذه الآية يروى أنه جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فسكت عنه فأنزل الله وإذا سألك عبادي عني فإني قريب الآية(٢)

أما معيته سبحانه فإنها تتحقق في مظاهر عديدة منها:

١ـ معية المراقبة:

وذلك كما في قوله ﷻ(هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (٣)

فالله ﷻ رقيب علينا شهيد علي أعمالنا حيث كنا في جميع الأماكن وفي كل الأوقات وهذا يجعل الإنسان علي حذر دائم وخشية دائمة.

يقول ابن كثير: قوله: (وهو معكم أين ما كنتم) أي: رقيب عليكم، شهيد على أعمالكم حيث أنتم، وأين كنتم، من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه،فيسمع كلامكم ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم. (٤)

ويقول صاحب الظلال: وهي كلمة (معكم) على الحقيقة لا على الكناية والمجاز، فالله ﷻ مع كل أحد، ومع كل شيء، في كل وقت، وفي كل مكان مطلع على ما يعمل بصير بالعباد وهي حقيقة هائلة

---

(١) سورة البقرة الآية (١٨٦)

(٢) السنة لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ) (٥٢٢) (٢٧٧/١) المحقق: د. محمد سعيد سالم القحطاني دار ابن القيم – الدمام ط الأولى، ١٤٠٦ ، ولباب النقول في أسباب النزول للإمام جلال الدين السيوطي المتوفى: ٩١١هـ (٢٣/١) ضبطه وصححه: الأستاذ أحمد عبد الشافي ط: دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، وتفسير الطبري (٤٨٠/١)

(٣) سورة الحديد الآية(٤)

(٤) تفسير ابن كثير(٩/٨)

حين يتمثلها القلب حقيقة مذهلة من جانب، ومؤنسة من جانب مذهلة بروعة الجلال ومؤنسة بظلال القربى وهي كفيلة وحدها حين يحسها القلب البشري على حقيقتها أن ترفعه وتطهره، وتدعه مشغولا بها عن كل أعراض الأرض كما تدعه في حذر دائم وخشية دائمة، مع الحياة والتحرج من كل دنس ومن كل إسفاف.[1]

ومما يدل على هذه المعية أيضا:

قوله سبحانه لبني إسرائيل (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) [2]

٢ـ معية النصرة والتأييد والهداية

وذلك كما جاء على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام **(قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ)** [3].

وكقوله ﷻ لموسى وهارون **(قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى)** [4].

وكما جاء على لسان الرسول الخاتم محمد ﷺ لأبي بكر، في قوله ﷻ **(إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)** [5]

يخاطب النبي ﷺ في هذه الآية صاحبه في الغار ناهيا إياه عن الحزن والخوف معللا هذا النهي بقوله (إن الله معنا) أي بالحفظ والمعونة والنصر ومن كان الله معه بعزته التي لا تغلب وقوته التي

---

[1] في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب المتوفى: ١٣٨٥هـ (٣٤٨١/٦) ط: دار الشروق - بيروت- القاهرة ط: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ
[2] سورة المائدة الآية(١٢)
[3] سورة الشعراء الآية(٦٢)
[4] سورة طه الآية(٤٦)
[5] سورة التوبة الآية(٤٠)

لا تقهر فهو حقيق بالا يستسلم لخوف ولا حزن . روى البخاري عن أبي بكر ﷺ، قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[1]

ويقول صاحب المنار: والحزن انفعال نفسي اضطراري يراد بالنهي عنه مجاهدته، وعدم توطين النفس عليه، والنهي عن الحزن وهو تألم النفس مما وقع، يستلزم النهي عن الخوف مما يتوقع، وقد عبر عن الماضي بصيغة الاستقبال (يقول) للدلالة على التكرار المستفاد من بعض الروايات، ولاستحضار صورة ما كان في ذلك الزمان والمكان ليتمثل المخاطبون ما كان لها من عظمة الشأن، وعلل هذا النهي بقوله: (إن الله معنا) أي: لا تحزن؛ لأن الله معنا بالنصر والمعونة والحفظ والعصمة، والتأييد والرحمة، ومن كان الله تعالى معه بعزته التي لا تغلب وقدرته التي لا تقهر، ورحمته التي قام ويقوم بها كل شيء، فهو حقيق بألا يستسلم لحزن ولا خوف.[2]

وهذه المعية ليست قاصرة على الأنبياء وحدهم وإنما تشمل المؤمنين الطائعين أيضا:

مصداق ذلك قوله ﷻ للمؤمنين :**(فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)** [3]

ففي هذه الآية الكريمة وعد من الله ﷻ أنه معهم بالهداية والإرشاد ذلك أنه لما خاطب عباده بقوله (وأنتم الأعلون) كان هذا مظنة الإعجاب بالنفس ، فبين الله تعالى أن هذا النصر والظفر ليس من أنفسنا وإنما هو من الله ﷻ .

أو أن المؤمنين كانوا يرون ضعف أنفسهم وقلتهم مع كثرة الكفار وشوكتهم فلما خاطبهم بقوله(وأنتم الأعلون) قالوا فكيف تكون الغلبة لنا فقال الله إني معكم فلا مجال للشك والريب في أن الغلبة لكم .

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير باب قوله: {ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا} [التوبة: ٤٠] (٦٦/٦)

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) للإمام: محمد رشيد رضا المتوفى: ١٣٥٤هـ (٣٦٩/١٠) ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م

(٣) سورة محمد الآية(٣٥)

يقول الفخر: قوله تعالى: (والله معكم) هداية وإرشاد يمنع المكلف من الإعجاب بنفسه، وذلك لأنه تعالى لما قال: (وأنتم الأعلون) كان ذلك سبب الافتخار فقال: والله معكم يعني ليس ذلك من أنفسكم بل من الله، أو نقول لما قال: وأنتم الأعلون فكان المؤمنون يرون ضعف أنفسهم وقلتهم مع كثرة الكفار وشوكتهم وكان يقع في نفس بعضهم أنهم كيف يكون لهم الغلبة فقال إن الله معكم لا يبقى لكم شك ولا ارتياب في أن الغلبة لكم وهذا كقوله تعالى: (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) (١) وقوله (وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) (٢) وقوله (ولن يتركم أعمالكم) وعد آخر وذلك لأن الله لما قال إن الله معكم، كان فيه أن النصرة بالله لا بكم فكان القائل يقول لم يصدر مني عمل له اعتبار فلا أستحق تعظيما، فقال هو ينصركم ومع ذلك لا ينقص من أعمالكم شيئا، ويجعل كأن النصرة جعلت بكم ومنكم فكأنكم مستقلون في ذلك ويعطيكم أجر المستبد. (٣)

٣ـ معية التوفيق والمحبة

وقد جعلها الله تعالى للمتقين والصابرين وأهل الإحسان فقال ﷻ:

(الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (٤)

فهذا أمر من الله ﷻ بطاعته وتقواه ، وإخبار منه بأنه مع الذين اتقوا بالنصر والتأييد في الدنيا والآخرة.

والتقوي هي الوقوف عند حدود الله تعالى بالإقدام على طاعته فيما أمر والإعراض عما نهى عنه وزجر ، وإذا ما فعل الإنسان ذلك استحق هذه المعية العظيمة.

يقول الشيخ علوان : واتقوا الله أن تتخلفوا عن حدوده بالإقدام على ما نهيتم عنه والإعراض عما أمرتم به واعلموا أيها المؤمنون أن الله المدبر لكم المصلح لأحوالكم مع المتقين منكم وهم الذين

---

(١) سورة المجادلة الآية(٢١)

(٢) سورة الصافات الآية(١٧٣)

(٣) مفاتيح الغيب (٢٨/٦١، ٦٢)

(٤) سورة البقرة الآية(١٩٤)

يحفظوننفوسهم عن محارم الله ومنهياته ويرغبونها نحو أوامر الله ومرضياته [١]

وقال أبو السعود {واتقوا الله} في شأن الانتصار واحذروا أن تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم {واعلموا أن الله مع المتقين}فيحرسهم ويصلح شئونهم بالنصر والتمكين [٢]

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [٣]

أي: قاتلوا الكفار، وتوكلوا على الله، واعلموا أن الله معكم إن اتقيتموه وأطعتموه.

يقول صاحب روح البيان :(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) بالحراسة والاعانة والمراد بالمعية الولاية الدائمة وادخل مع على المتقين مع اختصاصه بالمتبوع لكونهم المباشرين للقتال ووضع المظهر موضع المضمر اى معكم اشارة الى علة النصرة وهى التقوى كأنه قيل واعلموا ان نصرة الله معكم بسبب تقواكم بالتوحيد والإسلام والايمان والطاعة عن الإشراك والكفر والنفاق والعصيان[٤]

٤ـ معيته للصابرين

وذلك كما في قوله ﷻ**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)** [٥]

في هذه الآية يأمر الله ﷻ عباده بالاستعانة بالصبر والصلاة على تحمل المصائب والشدائد التي يلاقونها في الدنيا ويخبرهم بأنه معهم معينا وناصرا ومؤيدا.

---

[١] الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية للشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ) (٦٨/١)ط/ دار ركابي - الغورية، مصر ط الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

[٢] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢٠٥/١)

[٣] سورة التوبة الآية (١٢٣) ومثلها في سورة التوبة أيضا الآية(٣٦)

[٤] روح البيان (٥٣٩/٣)

[٥] سورة البقرة الآية (١٥٣) ومثل ذلك في سورة البقرة الآية (٢٤٩)، و سورة الأنفال الآية(٤٦) ،(٦٦)

والصبر صبران : صبر علي فعل الطاعات والقربات ، وصبر علي ترك المحرمات والمنهيات

قال ابن كثير: لما فرغ تعالى من بيان الأمر بالشكر شرع في بيان الصبر، والإرشاد إلى الاستعانة بالصبر والصلاة، فإن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكر عليها، أو في نقمة فيصبر عليها؛ كما جاء في الحديث: "عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له: إن أصابته سراء، فشكر، كان خيرا له؛ وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له".[1]

وبين تعالى أن أجود ما يستعان به على تحمل المصائب الصبر والصلاة، كما تقدم في قوله: { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ }[2]

والصبر صبران، فصبر على ترك المحارم والمآثم وصبر على فعل الطاعات والقربات، والثاني أكثر ثوابا لأنه المقصود كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الصبر في بابين، الصبر لله بما أحب، وإن ثقل على الأنفس والأبدان، والصبر لله عما كره وإن نازعت إليه الأهواء، فمن كان هكذا، فهو من الصابرين الذين يسلم عليهم، إن شاء الله.

وقال علي بن الحسين زين العابدين: إذا جمع الله الأولين والآخرين ينادي مناد: أين الصابرون ليدخلوا الجنة قبل الحساب؟ قال: فيقوم عنق من الناس، فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين يا بني آدم؟ فيقولون: إلى الجنة فيقولون: وقبل الحساب؟ قالوا: نعم، قالوا: ومن أنتم؟ قالوا: الصابرون، قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا على طاعة الله، وصبرنا عن معصية الله، حتى توفانا الله قالوا: أنتم كما قلتم، ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين.

قلت: ويشهد لهذا قوله ﷻ: { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ }[3].

وقال سعيد بن جبير: الصبر اعتراف العبد لله بما أصاب منه،

---

[1] أخرجه مسلم كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (٢٩٩٩) (٢٢٩٥/٤).

[2] سورة البقرة الآية(٤٥)

[3] سورة الزمر الآية(١٠)

واحتسابه عند الله رجاء ثوابه، وقد يجزع الرجل وهو متجلد لا يرى منه إلا الصبر.[1]

ولم يقل الله ﷻ أنه مع المصلين لأنه إذا كان مع الصابرين كان مع المصلين من باب أولى لاشتمال الصلاة على الصبر[2]

٥ـ معية الله للمحسنين:

أما معية الله للمحسنين فقد أثبتها الذكر الحكيم في موضعين:

الأول قوله ﷻ:(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ)[3]

أي: معهم بتأييده ونصره ومعونته .

والتقوى فعل الطاعات واجتناب المعاصي والمحرمات.

والإحسان هو القيام بالأمر حسبما يليق به شرعا سواء كان في العبادات أو المعاملات أو الأخلاق وغيرها بأن يؤديها الإنسان علي ما ينبغي أن يكون وكما طلب منه ولذلك عرفه النبي ﷺ بقوله (هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك)[4]

وفي هذه الآية يخبر الله تعالي أنه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون يحفظهم ويكلؤهم وينصرهم علي أعدائهم ومخالفيهم.

يقول ابن كثير : ومعنى: { الَّذِينَ اتَّقَوْا } أي: تركوا المحرمات، { وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } أي: فعلوا الطاعات، فهؤلاء الله يحفظهم ويكلؤهم، وينصرهم ويؤيدهم، ويظفرهم على أعدائهم ومخالفيهم.[5]

الموضع الثاني: قوله ﷻ(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)[6]

يخبر الله ﷻ في هذه الآية أنه يهدي كل من جاهد في سبيله إلى الطريق المستقيم ولكنه لم يعين فيما تكون المجاهدة وأتى بها مطلقة حتي تكون عامة فتتناول مجاهدة النفس والشيطان وأعداء الدين ،

---

[1] تفسير ابن كثير(١/٤٤٦)

[2] روح المعاني(١/٤١٨)

[3] سورة النحل الآية(١٢٨)

[4] صحيح البخاري كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي ﷺعن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (١/١٩) (٥٠)

[5] تفسير ابن كثير(٤/٦١٥)

[6] سورة العنكبوت الآية(٦٩)

ثم بين الله تعالى أنه مع المحسنين أي ناصرهم ومعينهم .
قال الزمخشري : أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول، ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين فينا في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا (لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا) لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا، كقوله تعالى (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً) [١].
وعن أبى سليمان الداراني: والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى ما لم يعلموا.
وعن بعضهم: من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم. وقيل: إن الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم، إنما هو من تقصيرنا فيما نعلم(لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) لناصرهم ومعينهم. [٢]

عاشرا: تكريم الله للإنسان بحفظه ورعايته من السوء

ومن مظاهر تكريم الإنسان أن يحظى برعاية الله ﷻ وحفظه من السوء، فسخر له الملائكة لحفظه قال تعالى: (وإن عليكم لحافظين كِرَامًا كَاتِبِينَ) [٣]
وكّل الله ﷻ ملائكة علي العبد يحفظون عليه أعماله ويكتبونها له وقد أثنى علي هؤلاء الحفظة بأنهم كرام وفي هذا تفخيم لأمر الجزاء وهؤلاء غير المعقبات الذين ذكرهم الله تعالى في قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ).
يقول الألوسي : والحال أن عليكم من قبلنا لحافظين لأعمالكم كراما لدينا كاتبين لها يعلمون ما تفعلون من الأفعال قليلا كان أو كثيرا ويضبطونه نقيرا أو قطميرا وليس ذلك للجزاء وإقامة الحجة وإلا لكان عبثا ينزه عنه الحكيم العليم.
وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لأمر الجزاء وأنه عند الله ﷻ من جلائل الأمور حيث استعمل سبحانه فيه هؤلاء الكرام لديه تعالى ثم إن هؤلاء الحافظين غير المعقبات في قوله تعالى (لَهُ

---

[١] سورة محمد الآية (١٧)
[٢] الكشاف (٣/٤٦٥) ط: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ
[٣] سورة الانفطار الآيتان(١١،١٠)

مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) [1].
فمع الإنسان عدة ملائكة ، قال المهدوي: وقيل إن كل آدمي يوكل به من حين وقوعه نطفة في الرحم إلى موته أربعمائة ملك من يكتب الأعمال ملكان كاتب الحسنات وهو في المشهور على العاتق الأيمن وكاتب ما سواها وهو على العاتق الأيسر والأول أمين على الثاني فلا يمكنه من كتابة السيئة إلا بعد مضي ست ساعات من غير مكفر لها، ويكتبان كل شيء حتى الاعتقاد والعزم والتقرير وحتى الأنين في المرض وكذا يكتبان حسنات الصبي على الصحيح ويفارقان المكلف عند الجماع ولا يدخلان مع العبد الخلاء. [2]
وقال تعالى:(إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) [3]
أي ما من نفس من النفوس إلا وعليها حافظ أي مهيمن ورقيب وهو الله تعالى ولم تذكر الآية الكريمة من هو الحافظ ولا مما يحفظ النفس ؟
فقيل أن الحافظ هو الله تعالى فهو سبحانه القيوم الذي بحفظه تبقى الموجودات كما قال تعالى(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا). [4]
وقيل أن الحافظ الملائكة وإليه الإشارة بقوله ﷻ (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً) [5]
واختلف العلماء في مما يحفظ النفس :
فقيل : يحفظ أعمالها حتى تخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا .
وقيل : يحفظ رزقه وأجله فإذا استوفي أجله قبضه إلي ربه .
وقيل يحفظها من المعاطب والمهالك فلا يصيبها إلا ما قدر الله لها.
وذكر آخرون أنه يحفظها حتى يسلمها إلي المقابر.
يقول الرازي : المسألة الثانية: ليس في الآية بيان أن هذا الحافظ من هو، وليس فيها أيضا بيان أن الحافظ يحفظ النفس عما ذا ؟
أما الأول: ففيه قولان: الأول: قول بعض المفسرين: أن ذلك الحافظ

---

[1] سورة الرعد الآية(١١)
[2] روح المعاني (٢٧٠/١٥)
[3] سورة الطارق الآية(٤)
[4] سورة فاطر من الآية (٤١)
[5] سورة الأنعام من الآية(٦١)

هو سبحانه تعالى.
أما في التحقيق فلأن كل وجود سوى الله ممكن، وكل ممكن فإنه لا يترجح وجوده على عدمه إلا لمرجح وينتهي ذلك إلى الواجب لذاته، فهو سبحانه القيوم الذي بحفظه وإبقائه تبقى الموجودات ثم إنه تعالى بين هذا المعنى في السموات والأرض على العموم في قوله: (إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا)[1] وبينه في هذه الآية في حق الإنسان على الخصوص وحقيقة الكلام ترجع إلى أنه تعالى أقسم أن كل ما سواه، فإنه ممكن الوجود محدث محتاج مخلوق مربوب هذا إذا حملنا النفس على مطلق الذات، أما إذا حملناها على النفس المتنفسة وهي النفس الحيوانية أمكن أن يكون المراد من كونه تعالى حافظا لها كونه تعالى عالما بأحوالها وموصلا إليها جميع منافعها ودافعا عنها جميع مضارها.
والقول الثاني: أن ذلك الحافظ هم الملائكة كما قال ﷻ (ويرسل عليكم حفظة)[2]
وقال: (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) ، [3] وقال ﷻ: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ)[4]
وقال ﷻ : (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ)[5] .
وأما البحث الثاني: وهو أنه ما الذي يحفظه هذا الحافظ؟
ففيه وجوه : أحدها:أن هؤلاء الحفظة يكتبون عليه أعماله دقيقها وجليلها حتى تخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا .
وثانيها: إن كل نفس لما عليها حافظ يحفظ عملها ورزقها وأجلها، فإذا استوفى الإنسان أجله ورزقه قبضه إلى ربه، وحاصله يرجع إلى وعيد الكفار وتسلية النبي ﷺ كقوله: (فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ

---

[1] سورة فاطر من الآية (٤١)
[2] سورة الأنعام من الآية(٦١)
[3] سورة ق الآيتان (١٧،١٨)
[4] سورة الانفطار (١٠،١١)
[5] سورة الرعد من الآية (١١)

لَهُمْ عَدًّا)[1] ثم ينصرفون عن قريب إلى الآخرة فيجازون بما يستحقونه ، وثالثها:إن كل نفس لما عليها حافظ ،يحفظها من المعاطب والمهالك فلا يصيبها إلا ما قدر الله لها ورابعها: قال الفراء: إن كل نفس لما عليها حافظ يحفظها حتى يسلمها إلى المقادير، وهذا قول الكلبي.[2]

وقال القرطبي : قال قتادة: حفظة يحفظون عليك رزقك وعملك وأجلك، وعنه أيضا قال: قرينه يحفظ عليه عمله من خير أو شر، وقيل: المعنى إن كل نفس إلا عليها حافظ يحفظها من الآفات حتى يسلمها إلى القبر، قال الفراء: الحافظ من الله، يحفظها حتى يسلمها إلى المقادير، وقاله الكلبي. وقال أبو أمامة: قال النبي ﷺ: [وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر، عليه من ذلك البصر، سبعة أملاك يذبون عنه، كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين][3].[4]

وقال الألوسي : أي ما كل نفس كائنة في حال من الأحوال إلا في حال أن يكون عليها حافظ أي مهيمن ورقيب وهو الله ﷻ كما في قوله تعالى (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا) [5].[6]

وكذلك حفظه ﷻ الإنسان من وساوس وإغواء الشيطان

بتمكينه من الاستعاذة برب العالمين ليحميه من كيد هذا الشيطان الرجيم، يقول تعالى

(وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [7].

---

[1] سورة مريم الآية (٨٤)

[2] مفاتيح الغيب (١١٨،١١٩/٣١)

[3] المعجم الكبير للطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) مكتبة ابن تيمية القاهرة ط الثانية(١٦٧/٨)(٧٧٠٤) ، واللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة (٢٢٣/١) للإمام الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

[4] تفسير القرطبي (٣/٢٠)

[5] سورة الأحزاب الآية(٥٢)

[6] روح المعاني(٣٠٧/١٥)

[7] سورة فصلت الآية(٣٦)

ففي هذه الآية منة من الله ﷻ بأن بين لنا كيف نصرف هذا الشيطان الرجيم ذلك أن شيطان الإنس من الممكن أن يصرف بالإحسان إليه أما شيطان الجن فإنه لا حيلة لنا به فعلمنا الله ﷻ أن ذلك يكون بالالتجاء والاعتصام به ﷻ فهو وحده الذي يقدر على كفه ورده.

يقول ابن كثير: إن شيطان الإنس ربما ينخدع بالإحسان إليه، فأما شيطان الجن فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك، فإذا استعذت بالله ولجأت إليه، كفه عنك ورد كيده. وقد كان رسول الله ﷺ: إذا قام إلى الصلاة يقول: "أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه"[١].

وهذا المقام لا نظير له في القرآن إلا في "سورة الأعراف" عند قوله: { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[٢]، وفي سورة المؤمنين عند قوله: { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ }[٣].[٤]

وعلمنا ربنا كيف نستعيذ به من الشيطان ومن كل شر في المعوذتين: قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس [٥]

حادي عشر: تكريم الله للإنسان بتحريم دمه وماله وعرضه

يقول الله ﷻ: **(مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ**

---

[١] الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٣٦/٥١٢)حديث رقم(٢٢١٧٧)وابن أبي شيبة في مصنفه(٦/١٩) حديث رقم (٢٩١٤٢) سورة الأعراف الأيتان(١٩٩، ٢٠٠)

[٢] سورة الأعراف الأيتان(١٩٩، ٢٠٠)

[٣] سورة المؤمنون الآيات (٩٦ -٩٨).

[٤] تفسير ابن كثير (٧/١٨١)

[٥] سورة الفلق(١ - ٥)وسورة الناس(١ - ٦) سورة الجاثية الأية(٢٠)

رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) [١]

حرم الله ﷻ دم الإنسان وماله وعرضه فلا يحل إلا بحقه وكذلك لا يسلب ماله ولا ينتهك عرضه ،وشدد النكير وغلظ العقوبة على من يفعل وبين أن من قتل نفسا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا لأن من استحل قتل نفس بغير حق فكأنما استحل قتل الناس جميعا ومن أحيا نفس من النفوس بأن كان سببا في إنقاذها من هلكة ونجاتها فكأنما أحيا الناس جميعا لأن في المحافظة علي الواحد محافظة علي الجميع فالآية تعلمنا ما يجب من وحدة البشر وحرص كل منهم علي حياة الجميع واتقائه ضرر كل فرد لأن انتهاك حرمة الفرد انتهاك لحرمة الجميع والقيام بحق الفرد قيام بحق الجميع.

يقول صاحب المنار : أنه بسبب ذلك الجرم والقتل الذي أحله أحد هذين الأخوين ظلما وعدوانا، لا بسبب آخر كتبنا وفرضنا على بني إسرائيل (أنه من قتل نفسا بغير نفس) أي بغير سبب القصاص الذي شرعه الله تعالى في قوله الآتي في هذه السورة: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ) [٢] أي من قتل نفسا يقتل بها جزاء وفاقا (أو فساد في الأرض) أو غير سبب فساد في الأرض بسلب الأمن، والخروج على أئمة العدل، وإهلاك الحرث والنسل، كما تفعله العصابات المسلحة لقتل الأنفس ونهب الأموال، أو إفساد الأمر على ذي السلطان المقيم لحدود الله، (فكأنما قتل الناس جميعا) لأن الواحد يمثل النوع في جملته، فمن استحل دمه بغير حق يستحل دم كل واحد كذلك ؛ لأنه مثله، فتكون نفسه ضارية بالبغي لا وازع لها من ذاتها ولا من الدين (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) أي ومن كان سببا لحياة نفس واحدة بإنقاذها من موت كانت مشرفة عليه فكأنما أحيا الناس جميعا ؛ لأن الباعث له على إنقاذ الواحدة - وهو الرحمة والشفقة ومعرفة قيمة الحياة الإنسانية واحترامها، والوقوف عند حدود الشريعة في حقوقها - تندغم فيه جميع حقوق الناس عليه، فهو دليل على أنه إذا استطاع أن ينقذهم كلهم من هلكة يراهم مشرفين على الوقوع فيها لا يني في ذلك ولا يدخر وسعا، ومن كان

---

[١] سورة المائدة الآية(٣٢)

[٢] سورة المائدة الآية(٤٥)

كذلك لا يقصر في حق من حقوق البشر عليه. ويلزم من ذلك أنه لو كان جميع الناس أو أكثرهم مثل ذلك الذي قتل نفسا واحدة بغير حق لكانوا عرضة للهلاك بالقتل في كل وقت، ولو كانوا مثل ذلك الذي أحيا نفسا واحدة احتراما لها وقياما بحقوقها لامتنع القتل بغير الحق من الأرض، وعاش الناس متعاونين، بل إخوانا متحابين متوادين .
فالآية تعلمنا ما يجب من وحدة البشر وحرص كل منهم على حياة الجميع، واتقائه ضرر كل فرد ، لأن انتهاك حرمة الفرد انتهاك لحرمة الجميع، والقيام بحق الفرد من حيث إنه عضو من النوع، وما قرر له من حقوق المساواة في الشرع، قيام بحق الجميع.}. [1]

وسن الله ﷻ الشرائع السماوية العادلة الرادعة لحماية هذه النفس الإنسانية

قال ﷻ: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [2].

والمقصود بالحياة في الآية إما الحياة الدنيوية وذلك لأن القاتل إذا علم أنه لو قتل سيقتل فإنه يرجع عن القتل فكان في شرع الله تعالى القصاص حياة كل الحياة أو أن المقصود بالحياة هي الأخروية وهذا على أن الخطاب خاص بالقاتلين فإذا ما اقتص من القاتل في الدنيا فإنه ينجو من العذاب في الآخرة .
يقول ابن كثير: {ولكم في القصاص حياة} أي وفي شرع القصاص لكم -وهو قتل القاتل -حكمة عظيمة لكم، وهي بقاء المهج وصونها؛ لأنه إذا علم القاتل أنه يقتل انكف عن صنيعه، فكان في ذلك حياة النفوس، وفي الكتب المتقدمة: القتل أنفى للقتل. فجاءت هذه العبارة في القرآن أفصح، وأبلغ، وأوجز{ولكم في القصاص حياة} قال أبو العالية: جعل الله القصاص حياة، فكم من رجل يريد أن يقتل، فتمنعه مخافة أن يقتل. [3]
ويقول الألوسي :والمراد بـ (حَيَاةٌ) إما الدنيوية- وهو الظاهر- لأن

---

[1] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) للإمام: محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ) (٢٨٨/٦) ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٠
[2] سورة البقرة الآية(١٧٩)
[3] تفسير ابن كثير (٤٩٢/١)

في شرع القِصاص والعلم به يروع القاتل عن القتل، فيكون سبب حَياةً نفسين في هذه النشأة، ولأنهم كانوا يقتلون غير القاتل، والجماعة بالواحد، فتثور الفتنة بينهم، وتقوم حرب البسوس على ساق، فإذا اقتص من القاتل سلم الباقون- ويصير ذلك سببا لحياتهم- ويلزم على الأول الإضمار، وعلى الثاني التخصيص، وأما الحياة الأخروية بناء على أن القاتل إذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ بحق المقتول في الآخرة، وعلى هذا
يكون الخطاب خاصا بالقاتلين، والظاهر أنه عام. [١]

وقد جاء تأكيد هذا المعنى في السنة النبوية ومن ذلك :

١ـ ما أخرج البخاري ﷺ عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، ذكر أن النبي ﷺ قعد على بعيره، وأمسك إنسان بخطامه - أو بزمامه - قال: «أي يوم هذا» ، فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه، قال: «أليس يوم النحر» قلنا: بلى، قال: «فأي شهر هذا» فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال:«أليس بذي الحجة» قلنا: بلى، قال:«فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه». [٢]

٢ ـ وأخرج مسلم ﷺ (عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله، فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ، فقال بيده، فعقد تسعا، فقال إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج، فقدم المدينة بشر كثير، كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله ... إلى أن يقول: فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء، فرحلت له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع،ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن

---

[١] روح المعاني(٤٤٨/١)

[٢] صحيح البخاري كتاب العلم باب قول النبي ﷺ: «رب مبلغ أوعى من سامع» حديث رقم (٦٧) (٢٤/١)

الحارث، كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله ... الحديث») [1]
٣ ـ وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنه قال: صعد رسول الله ﷺالمنبر فنادى بصوت رفيع فقال: «يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذو المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله») [2]

ثاني عشر: إعطاؤه حق المساواة لكل فرد مع الآخرين

من تكريم الإنسان في الإسلام إعطاؤه حق المساواة لكل فرد مع الآخرين فلا يتفاضل أحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح .
قال تعالى(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**) [3]
فهذه الآية تبين وتوضح أن الناس جميعا مخلوقون من أب واحد وأم واحدة ولذلك فميزان التفاضل عند الله تعالى ليس بالأحساب وإنما بالتقوى والعمل الصالح فالجميع سواء في الحقوق والواجبات لا فرق بين غني وفقير وعظيم وحقير وشريف ووضيع وبهذا يعم العدل وتنتشر المحبة وتسود الألفة بين أفراد المجتمع كله.
يقول ابن كثير:{ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } أي: إنما تتفاضلون عند الله بالتقوى لا بالأحساب.
وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ :
أخرج البخاري رحمه الله: عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أكرم؟ قال: "أكرمهم عند الله أتقاهم" قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: "فأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل

---

[1] صحيح مسلم كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ (٨٨٦/٢)(١٢١٨)
[2] الترمذي- كتاب البر والصلة برقم (٢٠٣٢) ، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد. والبغوي في شرح السنة (١٣/ ١٠٤) وقال محققه اسناده حسن وله شاهد عند أبي داود (٤٨٨٠)
[3] سورة الحجرات الآية(١٣)

الله". قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: "فعن معادن العرب تسألوني؟ " قالوا: نعم. قال: "فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا" [1].

وأخرج مسلم ، رحمه الله: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم." [2] [3]

ويقول الألوسي : قوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) تعليل للنهي عن التفاخر بالأنساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف الحقيقي كأنه قيل: إن أكرمكم عند الله تعالى والأرفع منزلة لديه ﷻ في الآخرة والدنيا هو الأتقى فإن فاخرتم ففاخروا بالتقوى. [4]

وقال الرازي : وبهذا الحق يتساوى الناس جميعا في تطبيق أحكام الشرع الحنيف، ويحصلون جميعا على فرص متكافئة في العمل والتعليم والعلاج ونحو ذلك، لا فرق بين غني وفقير وشريف ووضيع، وقوي وضعيف، وعربي وعجمي.

وفي ظل مجتمع المساواة يسود الإنصاف وتعم العدالة وتنتشر الألفة، ويتلاشى الكبر، ولا أدل على ذلك من هذا التطبيق العملي المتمثل في فرائض الصلاة والصيام والحج حيث يقف المصلون والصائمون والحجاج جميعا أمام الله سواء.

ثم قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) أي عليم بظواهركم، يعلم أنسابكم خبير ببواطنكم لا تخفى عليه أسراركم، فاجعلوا التقوى عملكم وزيدوا في التقوى كما زادكم. [5]

---

(1) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب {أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه} سورةالبقرة: ١٣٣] الأية(١٤٧/٤) حديث رقم (٣٣٧٤)

(2) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله (١٩٨٧/٤) حديث رقم (٢٥٦٤)

(3) تفسير ابن كثير(٣٨٦/٧)

(4) روح المعاني (٣١٣/١٣)

(5) مفاتيح الغيب(١١٥/٢٨)

ثالث عشر : تكريم الإنسان عند موته

لم يقتصر تكريم الله للإنسان على حياته بل شمله عند موته وإليه الإشارة بقوله

تعالى :(**قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ**) [١]

من تكريم الله للإنسان أن جعل له قبر يدفن فيه وهذا من تكريم الأجساد حتى لا تترك مطروحة علي وجه الأرض كسائر الحيوانات تستقذرها الناس أو تعتدي عليها الحيوانات والسباع.

يقول الإمام الزمخشري: (فَأَقْبَرَهُ) فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له، ولم يجعله مطروحا على وجه الأرض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال: قبر الميت إذا دفنه وأقبره الميت إذا أمره أن يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج: أقبرنا صالحا. [٢]

ويقول صاحب التفسير الوسيط : ففي الآية الكريمة إشارة إلى أن مواراة الأجساد في القبور من سنن الإسلام، أما تركها بدون دفن، بأن يترك مطروحا على وجه الأرض، بحيث يستقذره الناس، ويكون عرضة لاعتداء الطيور والحيوانات عليه أو حرقها ... فيتنافى مع تكريم هذه الأجساد. [٣]

رابع عشر : التكريم الأعظم في الاخرة

وأخيرا يأتي التكريم الأعظم في الآخرة بما أعده الله للطائعين من الكرامة في دار المقامة حيث يدخلهم الجنة يتمتعون فيها بنضرة النعيم ويحظون بالرضوان والفضل العظيم.

وقد جاء العديد من الآيات القرآنية وكذلك الكثير من الأحاديث النبوية تزف هذه البشرى العظيمة إلى المؤمنين .

فمن الآيات القرآنية:

قوله تعالى (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ**

---

[١] سورة عبس الآيات (١٧- ٢١)

[٢] الكشاف (٧٠٢/٤)

[٣] التفسير الوسيط للقرآن الكريم أ.د/ محمد سيد طنطاوي (٢٨٩/١٥) ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة ط الأولى.

تجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا) (1)

وقوله تعالى (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (2)

وقوله تعالى (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) (3)

ففي هذه الآيات وغيرها بشارة من الله ﷻ بما أعده للمؤمنين به والمؤمنات من الخير والنعيم المقيم في جنات الخلود.

يقول ابن كثير: في هذه الآية (4) يخبر الله ﷻ بما أعده للمؤمنين به والمؤمنات من الخيرات والنعيم المقيم في {جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها} أي: ماكثين فيها أبدا، {ومساكن طيبة} أي: حسنة البناء، طيبة القرار.

كما جاء في الصحيحين من حديث أبي عمران الجوني، عن أبي بكر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: "جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن"(5)

وبه قال رسول الله ﷺ: "إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلا في السماء، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم، لا يرى بعضهم بعضا"(6)

وفي الصحيحين أيضا، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة وصام رمضان، فإن حقا على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي

---

(1) سورة الآية النساء (57)

(2) سورة الآية التوبة (72)

(3) سورة فاطر من الآية (7)

(4) الكلام عن الآية(72) من سورة التوبة

(5) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة الرحمن باب قوله: {ومن دونهما جنتان} [الرحمن: 62] (6/145) حديث رقم (4878)

(6) صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب في صفة خيام الجنة وما للمؤمنين فيها من الأهلين حديث رقم (4/2182)(2838)

ولد فيها". قالوا: يا رسول الله، أفلا نخبر الناس؟ قال: "إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن" [١] [٢].

[١] صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب درجات المجاهدين في سبيل الله، (١٦/٤) حديث رقم (٢٧٩٠)

[٢] تفسير ابن كثير(١٧٥/٤)

: ٤ ١

المبحث الثاني

تكريـــــم الإنســـــان لنفســـــه

أولا : تكريـم الإنسـان نفسه بالعلم والمعرفة:

إن الإنسان إذا علم أنه مكرم من الله ﷻ، وأن من تكريم الله لـه قربـه منه ومعيته له فإن أبسط مظاهر تكريمه لنفسه أن يعمل عقله وقلبه وجوارحه بأن يتفكر ويتأمل ويتدبر في ملكوت الله ﷻ ونعمـه التـي لا تعد ولا تحصى، فمتى ما تعلم المرء كيف يقرأ باسم ربه الكريم كرم فكره وقلبه بمعرفة الله ﷻ في كل شيء يراه.

يقول تعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ). [١]

في هاتين الآيتين يعدد الله ﷻ نعمه علي عباده ، والمراد بقوله (إن في خلق السموات والأرض) أي في عجائب خلق السماوات والأرض ، الأولى في ارتفاعها بلا عمد واتساعها وما فيها كواكب وشموس وأقمار ، والثانية في انخفاضها وانبساطها وما فيها من جبال وبحار ونبات وحيوان ومنافع ، واختلاف الليل والنهار أي تعاقبهما بأن يأتي هذا بعد هذا وتبادلهما الطول والقصر ، (لآيات لأولي الألباب) أي لشواهد واضحة وأدلة دامغة على وجود الله ﷻ لأصحاب العقول السليمة.

ثم وصفهم الله ﷻ بقوله (الذين يذكرون الله قياما وقعودا) أي على كافة أحوالهم (ويتفكرون في خلق السماوات والأرض) أي يفهمون ما فيها من الحكم الدالة علي عظمة الخالق وقدرته وحكمته.

يقول ابن كثير: {إن في خلق السماوات والأرض} أي: هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات، وثوابت وبحار،

---

[١] سورة آل عمران الأيتان(١٩١،١٩٠)

وجبال وقفار وأشجار ونبات وزروع وثمار، وحيوان ومعادن ومنافع، مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص .
{واختلاف الليل والنهار} أي: تعاقبهما وتقارضهما الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان، ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيرا، ويقصر الذي كان طويلا وكل ذلك تقدير العزيز الحكيم .
ولهذا قال: {لأولي الألباب} أي: العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون الذين قال الله تعالى فيهم: { وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}[١].
ثم وصف تعالى أولي الألباب فقال: { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ } كما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين، ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنبك " [٢] أي: لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم .
{ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } أي: يفهمون ما فيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته، وعلمه وحكمته، واختياره ورحمته.
{ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا } أي: ما خلقت هذا الخلق عبثا، بل بالحق لتجزي الذين أساؤوا بما عملوا، وتجزي الذين أحسنوا بالحسنى. ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل فقالوا: {سبحانك} أي: عن أن تخلق شيئا باطلا .
{ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } أي: يا من خلق الخلق بالحق والعدل يا من هو منزه عن النقائص والعيب والعبث، قنا من عذاب النار بحولك وقوتك وقيضنا لأعمال ترضى بها عنا، ووفقنا لعمل صالح تهدينا به إلى جنات النعيم، وتجيرنا به من عذابك الأليم. [٣]

---

[١] سورة يوسف الآيتان(١٠٥، ١٠٦)
[٢] صحيح البخاري كتاب الصلاة باب إذا لم يطق قاعدا صلى على جنب (١١١٧) (٤٨/٢)
[٣] تفسير ابن كثير (٤١٨/٤)

وقال ﷻ (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ)[1]

في هذه الآية تنبيه عظيم على فضيلة العلم والعلماء ، وأن الذي يعلم هذا ويعرف الفرق بين العالمون وغيرهم إنما هم أصحاب العقول السليمة لا غيرهم .

والمعنى كما قال الشيخ المراغي : أي أأنت أيها المشرك أحسن حالا ومآلا أم من هو قائم بأداء الطاعات، ودائب على وظائف العبادات، في ساعات الليل التي تكون فيها العبادة أشق على النفوس، وأبعد من الرياء، فتكون أقرب إلى القبول، وهو في حال عبادته خائف راج ؟ لا شك أن الجواب لا يحتاج إلى بيان.

والخلاصة : أمن هو مطيع كمن هو عاص؟ إنهما لا يستويان.

ثم أكد نفي التساوي ونبه إلى فضيلة العلم وشرف العمل به فقال:(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) ؟ أي قل أيها الرسول لقومك: هل يستوى الذين يعلمون ما لهم في طاعة ربهم من الثواب، وما عليهم في معصيتهم إياه من عقاب، والذين لا يعلمون ذلك، فهم يخبطون خبط عشواء، لا يرجون بحسن أعمالهم خيرا، ولا يخافون من سيئها شرا.

وجاء هذا الكلام بأسلوب الاستفهام للدلالة على أن الأولين بلغوا أعلى معارج الخير، وأن الآخرين درجوا في دركات الشر، ولا يخفى ذلك على منصف ولا مكابر.

ثم بين أن ما سلف إنما يفهمه كل ذي لب، فأمثال هؤلاء على قلوبهم غشاوة، لا يفقهون موعظة، ولا تنفع فيهم التذكرة فقال:(إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ) أي إنما يعتبر بحجج الله ويتعظ بها ويتدبرها أهل العقول والحجا، لا أهل الجهل والغفلة، فمن له لب وعقل يتدبر به يعلم الفرق بين هذا وذاك.[2]

---

(1) سورة الزمر الآية (٩)

(2) تفسير المراغي المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) (١٥١/٢٣) ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

ويقول الرازي قوله ﷻ:(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) تنبيه عظيم على فضيلة العلم.
قال صاحب الكشاف أراد بالذين يعلمون الذين سبق ذكرهم وهم القانتون، وبالذين لا يعلمون الذين لا يأتون بهذا العمل كأنه جعل القانتين هم العلماء، وهو تنبيه على أن من يعمل فهو غير عالم ثم قال وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون، ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة.
ثم قال تعالى:(إنما يتذكر أولوا الألباب) يعني هذا التفاوت العظيم الحاصل بين العلماء والجهال لا يعرفه أيضا إلا أولوا الألباب.
قيل لبعض العلماء:إنكم تقولون العلم أفضل من المال ثم نرى العلماء يجتمعون عند أبواب الملوك، ولا نرى الملوك مجتمعين عند أبواب العلماء،فأجاب العالم بأن هذا أيضا يدل على فضيلة العلم لأن العلماء علموا ما في المال من المنافع فطلبوه،والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فلا جرم تركوه[1]
ومتى ما أقبل الإنسان بفكره وقلبه على الله بإخلاص ونية حسنة أقبل الله عليه وزاده نورا على نور وهداه إلى سبل الخير والتقوى وفقهه في الدين، مصداقا لقوله ﷺ : «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين». [2]
فالإنسان يكرم نفسه بالعلم والمعرفة حتى يكون أهلا لتكريم الله له، ومن يفعل ذلك وهو مؤمن بالله فيقدم عملا فكريا أو ثقافيا، أو اكتشافا علميا يثري به الحياة، يلق من الناس التكريم والثناء العطر ومن الله ﷻ عظيم الجزاء في الدنيا والآخرة.

ثانيا: تكريم الإنسان نفسه بالحفظ والصيانة والتزكية

على الإنسان الذي يكرم نفسه أن يحفظ هذه النفس التي حرمها الله تعالى بالعفة والتطهر، وأن يصونها عن كل ما يدنسها أو يشينها من الموبقات المهلكة مثل الزنا واللواط والخمر ونحو ذلك مما يذل النفس وينتقص من كرامتها وعزتها، فضلا عما يؤذي الجسد والعقل

---

[1] مفاتيح الغيب (٤٢٩/٢٦)
[2] صحيح البخاري كتاب العلم باب: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين رقم (٧١) (٢٥/١)

وهو بذلك يجعل نفسه في فريق السعداء في الدنيا والآخرة.
قال الله تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) [1]
فالله ﷻ خلق كل نفس مستقيمة على الفطرة ثم بين لها طريقي الخير والشر ، والهدى والفجور وترك لها الاختيار فأفلح من زكى نفسه بالطاعة وطهرها من الخبائث والأوزار وخاب من دسى نفسه أي خزلها عن الهدى وركب الفجور والمعاصي.
أو أن المعنى أفلحت نفس زكاها الله تعالى ، وخابت وخسرت نفس خذلها الله ﷻ .
يقول ابن كثير : {ونفس وما سواها} أي: خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة، كما قال تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ }[2]
وقال رسول الله ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ " [3]
وفي صحيح مسلم من رواية عِيَاض بْن حِمَار المُجَاشِعِيّ، عن رسول الله ﷺ قال: "يقول الله ﷻ : (إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم) [4]
وقوله: {فألهمها فجورها وتقواها} أي: فأرشدها إلى فجورها وتقواها، أي: بين لها ذلك، وهداها إلى ما قدر لها .
قال ابن عباس: {فألهمها فجورها وتقواها} بين لها الخير والشر.
وقال سعيد بن جبير: ألهمها الخير والشر.
وقال ابن زيد: جعل فيها فجورها وتقواها.
وقوله: {قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها} يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى نفسه، أي: - بطاعة الله - كما قال قتادة

---

[1] سورة الشمس الأيات(٧- ١٠)
[2] سورة الروم من الأية (٣٠)
[3] صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٤) (١٠٠/٢)
[4] صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢٨٦٥)(٢١٩٧/٤)

وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل، ويروى نحوه عن مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وكقوله: {قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى}[1] .

{وقد خاب من دساها} أي: دسسها، أي: أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى، حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله ﷻ.

وقد يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى الله نفسه، وقد خاب من دسى الله نفسه، كما قال العوفي وعلي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

وقد روى ابن أبي حاتم: عن الضحاك، عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قول الله: {قد أفلح من زكاها} قال النبي ﷺ : "أفلحت نفس زكاها الله" .[2]

وروى الطبراني: عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا مر بهذه الآية:{ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها} وقف، ثم قال:"اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها، وخير من زكاها" [3]

وأخرج الإمام أحمد: عن عائشة: أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه، فلمسته بيدها، فوقعت عليه وهو ساجد، وهو يقول:"رب، أعط نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها"[4] .[5]

---

[1] سورة الأعلى الآيتان(١٤، ١٥)

[2] تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)(١٩٣٤٠)(٣٤٣٧/١٠) المحقق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار بالسعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ

[3] هكذا في المعجم الكبير للإمام الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) (١١١٩١) (١٠٦/١١) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي مكتبة ابن تيمية القاهرة الطبعة: الثانية وأخرجه مسلم بلفظ (اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها) صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل(٢٧٢٢)(٢٠٨٨/٤)

[4] مسند الإمام أحمد بن حنبل حديث رقم (١٩٣٠٨)(٦١/٣٢)

[5] تفسير ابن كثير(٤١١/٨،٤١٢)

: ٤٧

ثالثا : تكريم الإنسان نفسه بالعبادة والطاعة:

من تكريم الإنسان نفسه أن يزكيها بالعبادة ويطهرها بالطاعة فالكمال الإنساني لا يتم إلا بالاستجابة لما شرع الله تعالى للناس في كتابه من البينات والهدى والفرقان، وما جاء على لسان رسوله ﷺ عملا بقوله تعالى:(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) [١] هذا هو طريق الوصول إلى ذلك الكمال .

قال تعالى: **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)** [٢]

وقد اختلف العلماء في المراد من قوله (إلا ليعبدون) فذهب فريق إلى أن المراد إلا ليقروا بعبادتي ، وقيل : إن المعنى إلا ليعرفون ، وقيل : إلا للعبادة .

قال ابن كثير{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي،لا لاحتياجي إليهم.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: {إلا ليعبدون} أي: إلا ليقروا بعبادتي طوعا أو كرها وهذا اختيار ابن جرير.

وقال ابن جريج: إلا ليعرفون.

وقال الربيع بن أنس: {إلا ليعبدون} أي: إلا للعبادة.

وقال السدي: من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع، {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ}[٣] هذا منهم عبادة، وليس ينفعهم مع الشرك ، وقال الضحاك: المراد بذلك المؤمنون.

ومعنى الآية: أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب .[٤]

---

(١) سورة الحشر من الآية (٧).
(٢) سورة الذاريات الأيات (٥٦-٥٨)
(٣) سورة لقمان الآية (٢٥)
(٤) تفسير ابن كثير(٧/٤٢٥)

والمراد بالعبادة غاية التذلل والخضوع ومنها ما يكون بالاختيار ومنها ما يكون بالتسخير والمراد بها في الآية ما كانت بالاختيار.

يقول الألوسي : والعبادة غاية التذلل، والظاهر أن المراد بها ما كانت بالاختيار دون التي بالتسخير الثابتة لجميع المخلوقات وهي الدلالة المنبهة على كونها مخلوقة وأنها خلق فاعل حكيم، ويعبر عنها بالسجود كما في قوله تعالى:(وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ)[1].[2]

وعن العبادة التي خلق الجن والإنس لها يقول الإمام الرازي:

المسالة الخامسة: ما العبادة التي خلق الجن والإنس لها؟ قلنا: التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، فإن هذين النوعين لم يخل شرع منهما، وأما خصوص العبادات فالشرائع مختلفة فيها بالوضع والهيئة والقلة والكثرة والزمان والمكان والشرائط والأركان، ولما كان التعظيم اللائق بذي الجلال والإكرام لا يعلم عقلا لزم اتباع الشرائع فيها والأخذ بقول الرسل عليهم السلام فقد أنعم الله على عباده بإرسال الرسل وإيضاح السبل في نوعي العبادة.[3]

ويشترط في هذه العبادة أن تكون دون تطرف أو غلو:

ذلك أن التيسير والرفق بالنفس من الأمور التي دعانا إليها القرآن وحثنا على اتباعها الرسول الكريم ﷺ فقال تعالى:(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ......)[4] ، وقال ﷺ : «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق»[5]

وإذا فعلنا ذلك كنا أهلا لمعية الله ﷻ، ويكون ذلك بالتقوى والإحسان والصبر وغيرها من مظاهر الطاعة، وهذه المعية تجعل الإنسان موقنا بأن الله ﷻ رقيب عليه مطلع على سره وعلانيته ومن ثم فعليه العمل بموجب ذلك أي بغاية الإخلاص والحياء والخوف

---

(1) سورة الرحمن الآية (٦)

(2) روح المعاني(٢١/١٤)

(3) مفاتيح الغيب(١٩٤/٢٨)

(4) سورة النساء من الآية(١٧١)

(5) مسند الإمام أحمد بن حنبل(١٣٠٥٢)(٣٤٦/٢٠) ، والزهد والرقائق لابن المبارك (المتوفى: ١٨١هـ) (١١٧٨)(٤١٥/١) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

والخشية وأن يعبد الله بأقواله وأفعاله كأنه يراه.[1]

رابعا : تكريم الإنسان نفسه بالأخذ بالأسباب:

على المرء إذا أراد أن يكرم نفسه أن يصونها عن ذل سؤال الخلق، ولا يتأتى له ذلك إلا إذا سعى في طلب الرزق وقد أمرنا الله ﷻ بذلك في كتابه ورسوله ﷺ في سنته .

قال تعالى: (**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**)[2]

في هذه الآية يُذكر الله ﷻ خلقه بنعمه عليهم بأن سخر لهم الأرض وجعلها سهلة ميسرة للمشي والسعي ولهذا أمرهم بالسعي والسفر في أقطارها للتجارة والمكاسب مع الأخذ في الاعتبار أن هذا السعي لا ينافي التوكل على الله بل هو من الأخذ بالأسباب .

والذلول فعول للمبالغة، من ذلك تقول: دابة ذلول: بينة الذل، ورجل ذليل: بين الذل.[3]

والمناكب جمع منكب واختلف العلماء في المراد منها فقيل المراد أطرافها وهي الجبال ، وقيل جوانبها ومنكبا الرجل جانباه ، وقيل المعنى طرقها وفجاجها.[4]

يقول ابن كثير : في هذه الآية يذكر الله تعالى نعمته على خلقه في تسخيره لهم الأرض وتذليله إياها لهم، بأن جعلها قارة ساكنة لا تمتد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار، فقال: {هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها} أي: فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئا، إلا أن ييسره الله لكم؛ ولهذا قال: {وكلوا من

---

[1] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ(١١٤٢/٤) تأليف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح ابن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة

[2] سورة الملك الآية (١٥)

[3] البحر المحيط (٢٢٥/١٠)

[4] المرجع السابق (٢٢٦/١٠)

رزقه} فالسعي في السبب لا ينافي التوكل ، فعن عمر بن الخطاب ﷺ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا".[1]
فأثبت لها رواحا وغدوا لطلب الرزق، مع توكلها على الله، ﷻ، وهو المسخر المسير المسبب. {وإليه النشور} أي: المرجع يوم القيامة.[2]
والمشي في مناكبها كما قال الزمخشري : مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية، لأن المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شيء من البعير وأنباه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه، فإذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها فقد صار نهاية في الانقياد والطاعة، فثبت أن قوله: فامشوا في مناكبها كناية عن كونها نهاية في الذلولية.
وقيل: مناكبها جبالها. قال الزجاج: معناه سهل لكم السلوك في جبالها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها، فهو أبلغ التذليل. وقيل جوانبها.[3]

وقال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [4]

لما منع الله ﷻ عباده من التصرف والبيع والشراء وقت الصلاة أذن لهم بعد الفراغ من الصلاة من الانتشار في الأرض والابتغاء من فضله وهذا حتى لا يتواكل أحد ويتكاسل عن طلب الرزق .
يقول ابن كثير:{ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ } أي: فرغ منها، { فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ } لما حجر عليهم في التصرف بعد

---

[1] سنن الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ) باب في التوكل على الله(٢٣٤٤)(٥٧٣/٤) وقال هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه تحقيق وتعليق: ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ط الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، و مسند الإمام أحمد بن حنبل(٢٠٥) (٣٣٢/١)
[2] تفسير ابن كثير(١٧٩/٨)
[3] الكشاف(٥٨٠/٤) ومفاتيح الغيب(٥٩١/٣٠)
[4] سورة الجمعة الأيتان (٩/ ١٠)

النداء وأمرهم بالاجتماع، أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله ، كما كان عراك بن مالك ﷺ إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد، فقال: اللهم إني أجبت دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين. رواه ابن أبي حاتم.[1]

ورُوي عن بعض السلف أنه قال: من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة، بارك الله له سبعين مرة، لقول الله تعالى: { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ }

وقوله: { وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } أي: حال بيعكم وشرائكم، وأخذكم وعطائكم، اذكروا الله ذكرا كثيرا، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة؛ ولهذا جاء في الحديث: "من دخل سوقا من الأسواق فقال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير كتبت له ألف ألف حسنة، ومحي عنه ألف ألف سيئة" [2] ، [3]

ولابد مع الأخذ بالأسباب أن يوقن الإنسان أن الله ﷻ هو الرزاق ذو القوة المتين :

وأنه المتكفل بذلك مصداقا لقوله ﷻ: **(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)**[4].

وإذا فعل ذلك فإن عليه أن يرضى بما قسم الله له من الرزق الحلال، فإذا سعى وكدح

ورزق ما قدر الله له أن يرزقه ورضي بذلك انكسرت حواجز الشك والقلق، وتخلص من وساوس الشيطان وحب التكاثر من أجل استهلاك زائف في دنيا فانية، وأنه لابد ملاق ربه (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) [5] .

بذلك فقط تصبح نفسه عزيزة بإيمانها، قوية بعزتها، لا تغرها الدنيا

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم(١٨٨٩٤)(٣٣٥٦/١٠)

[2] سنن الترمذي باب ما يقول إذا دخل السوق(٣٤٢٨)(٤٩١/٥) وقال هذا حديث غريب ، والمسند (٣٢٦)(٤١٠/١)

[3] تفسير ابن كثير (١٢٢/٨،١٢٣)

[4] سورة الذاريات الآيتان(٢٢- ٢٣)

[5] سورة الانشقاق الآية (٦)

ولا يعميها الطمع حيث آمنت بقوله تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ)[١] .

وعليه أن يعتقد بأن النجاح والرزق بيد الله ﷻ يقول سبحانه: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)[٢] وقال ﷻ :(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا) [٣] .

إن الارتباط بين التقوى والتوكل وقضاء الله وقدره من ناحية وبين الرزق من ناحية أخرى كفيل أن يحرر الإنسان من الخوف من فقدان الرزق، ذلك أن الرزق قد تكفل به المولى ﷻ في قوله تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) [٤]،وليس على الإنسان إلا أن يأخذ بالأسباب ويعتقد جازما أن الله وحده صاحب الفضل في توفير هذا الرزق له وتأمينه من الخوف أيا كان نوعه من مرض أو جوع أو عدو أو نحو ذلك، ولا مهرب من ذلك كله إلا بالفرار إلى الله ﷻ،القائل:(فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) [٥]

والخلاصة : أن الإنسان الذي يكرم نفسه هو الذي يستحق التكريم من الله ﷻ ومن الناس، وتكريم النفس يكون بإعمال قواها العقلية بالتفكر والتدبر والتأمل، وقواها القلبية بالحب والتذكر والإيمان، وقواها البدنية بالسعي للرزق وبالعبادة والعمل الصالح، إذ هما وسيلة العبد إلى التقرب منه ﷻ.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)[٦] ، كل ذلك تزكية للنفس وسمو بها وقد قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) [٧] .[٨] .

---

[١] سورة الحديد من الآية (٢٠)
[٢] سورة الطلاق الآيتان(٢- ٣)
[٣] سورة الطلاق الآيتان(٤- ٥)
[٤] سورة هود من الآية(٦)
[٥] سورة الذاريات الآية (٥٠)
[٦] سورة المائدة الآية(٣٥)
[٧] سورة الشمس الآيتان(٩- ١٠)
[٨] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ(١١٤٤،١١٤٥/٤)

المبحث الثالث

تكريـــم الإنســان لبنــي جنســه

نص القرآن الكريم في مواضع عديدة على تكريم الإنسان للإنسان بوجه عام، وجاءت السنة المطهرة مؤيدة ومبينة هذا التكريم الذي يشمل الأناسي جميعا، والله ﷻ القائل:(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [١]
واصفا إياه ﷺ بقوله (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [٢] .
وقد شمل ذلك التكريم الرجل والمرأة، الصغير والكبير، الغني والفقير، المريض والسليم، المسافر والمقيم، القريب والبعيد، الحي والميت، وغير ذلك مما يشمله لفظ «إنسان» أو آدمي، إلا أن القرآن والسنة قد أكدا في غير موضع على أنواع خاصة من التكريم لأنواع خاصة من الناس، اهتماما بها وتذكيرا بما لها من حقوق على المجتمع الإنساني ، ومن هؤلاء :

أولا : تكريــم الـوالـديـن

فعلى رأس قائمة الذين ينبغي تكريمهم ورعايتهم الوالدين وقد جاء الأمر بالإحسان إليهما في كثير من الآيات الكريمة والسنة النبوية المطهرة ومن هذه الآيات :

قوله تعالى :(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [٣] **وقوله ﷻ :(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)** [٤]

وقوله ﷻ :(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [٥]

---

[١] سورة الأحزاب الآية(٢١)
[٢] سورة القلم الآية (٤)
[٣] سورة البقرة من الآية (٨٣)
[٤] سورة النساء من الآية (٣٦)
[٥] سورة الأنعام من الآية (١٥١)

وقوله ﷻ :(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) [١]

وقوله تعالى (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) [٢]

وقوله تعالى (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ) [٣]

ففي آية سورة الإسراء جعل الله الإحسان إلى الوالدين تاليا لعبادته ﷻ مما يدل على عظيم شأن البر بهما وتكريمهما يقول الله تبارك وتعالى: **(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)**

والقضاء في الآية معناه الأمر أي وأمر ربك ألا تعبدوا إلا إياه وأمر بالإحسان إلي الوالدين .

وقيل : إنه بمعنى ووصى وقد ورد هكذا في قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود .

والإحسان هو نهاية البر فيدخل فيه جميع ما يجب لهما من العناية والرعاية والقيام بحقوقهما ، ومعاشرتهما بالمعروف والتواضع لهما وامتثال أمرهما والدعاء لهما بعد مماتهما .

وبعدما أمر الله ﷻ بالإحسان إليهما نهى عن الإساءة إليهما وأقل مراتب الإساءة أن يتأفف الإنسان منهما أو ينهرهما فقال (ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما) ولما نهى الله ﷻ الإنسان عن القول والفعل القبيحين للوالدين أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال :(وقل لهما قولا كريما........)

---

[١] سورة الإسراء الآية (٢٣)

[٢] سورة لقمان الآية (١٤)

[٣] سورة الأحقاف من الآية (١٥)

قال العلامة ابن كثير:(يقول تعالى آمرا بعبادته وحده لا شريك له؛ فإن القضاء هاهنا بمعنى الأمر.
قال مجاهد: {وقضى} يعني: وصى، وكذا قرأ أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، والضحاك بن مزاحم: "ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه" ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال: {وبالوالدين إحسانا} أي: وأمر بالوالدين إحسانا، كما قال في الآية الأخرى: {أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير} [1].
وقوله: {إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف} أي: لا تسمعهما قولا سيئا، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ .{ولا تنهرهما} أي: ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح، كما قال عطاء بن أبي رباح في قوله: {ولا تنهرهما} أي: لا تنفض يدك على والديك.
ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح، أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال: {وقل لهما قولا كريما} أي: لينا طيبا حسنا بتأدب وتوقير وتعظيم.
{واخفض لهما جناح الذل من الرحمة} أي: تواضع لهما بفعلك {وقل رب ارحمهما} أي: في كبرهما وعند وفاتهما {كما ربياني صغيرا})[2]

والسبب في تعظيم أمر الوالدين إلى هذا الحد:

أنهما السبب الرئيس الظاهري المباشر في دخول الإنسان إلي عالم الوجود وللعناية الكبيرة التي بذلاها في تربيته والقيام بشئونه أيام كان ضعيفا عاجزا لا يملك لنفسه نفعا ولا يقدر أن يدفع عنها ضررا .
يقول الإمام الألوسي : ثم إن السبب في تعظيم أمر الوالدين أنهما السبب الظاهري في إيجاده وتعيشه ولا يكاد تكون نعمة أحد من الخلق على الولد كنعمة الوالدين عليه، لا يقال عليه: إن الوالدين إنما طلبا تحصيل اللذة لأنفسهما فلزم منه دخول الولد في الوجود ودخوله في عالم الآفات والمخافات فأي إنعام لهما عليه، وقد حكي أن واحدا من المتسمين بالحكمة كان يضرب أباه ويقول: هو الذي

---

(1) سورة الإسراء من الآية (٢٣)
(2) تفسير ابن كثير (٦٤/٥)

أدخلني في عالم الكون والفساد وعرضني للموت والفقر والعمى والزمانة.
وقيل لأبي العلاء المعري ولم يكن ذا ولد: ما نكتب على قبرك فقال: اكتبوا عليه:

هذا جناه أبي عليّ ... وما جنيت على أحد

وقال ابن رشيق:

قبح الله لذة لشقانا ... نالها الأمهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقد فإيجادنا علينا بلاء

وقيل للإسكندر: أستاذك أعظم منة عليك أم والدك؟ فقال: الأستاذ أعظم منة لأنه تحمل أنواع الشدائد والمحن عند تعليمي حتى أوقفني على نور العلم وأما الوالد فإنه طلب تحصيل لذة الوقاع لنفسه فأخرجني إلى عالم الكون والفساد .
لأنا نقول: هب أنه في أول الأمر كان المطلوب لذة الوقاع إلا أن الاهتمام بإيصال الخيرات ودفع الآفات من أول دخول الولد في الوجود إلى وقت بلوغه الكبر أعظم من جميع ما يتخيل من جهات الخيرات ودفع الأفات من أول دخول الولد في الوجود إلى وقت بلوغه الكبر أعظم من جميع ما يتخيل من جهات الخيرات والمبرات، وقد يقال: لو كان الإدخال في عالم الكون والفساد والتعريض للأكدار والأنكاد دافعا لحق الوالدين لزم أن يكون دافعا لحق الله تعالى لأنه سبحانه الفاعل الحقيقي، وأيضا يعارض ذلك التعريض للنعيم المقيم والثواب العظيم كما لا يخفى على ذي العقل السليم، ولعمري أن إنكار حقهما إنكار لأجل الأمور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .[1]
وقال صاحب المنار عند تفسير قوله تعالى :(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)[2] : أي وتحسنون بالوالدين إحسانا، والإحسان نهاية البر فيدخل فيه جميع ما يجب من الرعاية والعناية والعلة الصحيحة في وجوب هذا الإحسان على الولد هي العناية الصادقة التي بذلاها في تربيته، والقيام بشئونه أيام كان ضعيفا عاجزا جاهلا، لا يملك لنفسه نفعا، ولا يقدر أن يدفع

---

(١) روح المعاني (٨/٦٠)
(٢) سورة البقرة من الآية (٨٣)

عنها ضررا، إذ كانا يحوطانه بالعناية والرعاية، ويكفلانه حتى يقدر على الاستقلال والقيام بشأن نفسه، فهذا هو الإحسان الذي يكون منهما عن علم واختيار، بل مع الشغف الصحيح والحنان العظيم، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان، وإذا وجب على الإنسان أن يشكر لكل من يساعده على أمر عسير فضله، ويكافئه بما يليق به على حسب الحال في المساعد، وما كانت به المساعدة، فكيف لا يجب أن يكون الشكر للوالدين بعد الشكر لله - تعالى - وهما اللذان كانا يساعدانه على كل شيء أيام كان يتعذر عليه كل شيء؟! .[1]

وقد جعل النبي ﷺ البر بالوالدين والإحسان إليهما من أفضل الأعمال بعد الصلاة ففي الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ:(سألت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على ميقاتها» ، قلت: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين» ، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» فسكت عني رسول الله ﷺ، ولو استزدته لزادني) [2]

وجعله في مرتبة الجهاد في سبيل الله فعن عبد الله بن عمرو، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ ، يستأذنه في الجهاد فقال: (أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد) [3].

وهذا في حال حياتهما ولم ينقطع أيضا بعد مماتهما فعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي، قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ: إذ جاءه رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «نعم الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما» [4].

---

[1] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)(١/٣٠٣،٣٠٢) بتلخيص .

[2] صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب فضل الجهاد والسير(٢٧٨٢)(١٤/٤)

[3] صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب بر الوالدين وأنهما أحق به (٢٥٤٩)(١٩٧٥/٤)

[4] سنن أبي داود باب في بر الوالدين (٥١٤٢) (٣٣٦/٤) ، والمستدرك على الصحيحين للحاكم (المتوفى: ٤٠٥هـ) (٧٢٦٠) (١٧١/٤) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ط دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى، ١٩٩٠

ثانيا : تكريم ذوي الأرحام

الأرحام هم من ترتبط بهم بصلة القرابة والنسب ولقد أمر الله ﷻ بصلة الأرحام، وجعلها من خصال أهل الإسلام الذين وعدهم الله بالجنة، لأن صلة الأرحام حاجة فطرية، وضرورة اجتماعية، تقتضيها الفطرة الصحيحة وتميل إليها الطباع السليمة.

وتجب مواصلة الرحم بالتودد والتناصح، والعدل والإنصاف، والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، والنفقة على القريب، وتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم.

ومن صلتهم التلطف بهم، ولين الجانب لهم، وإظهار محبتهم، والاجتهاد في إيصال كفايتهم، خصوصاً عند حاجتهم، وكذلك المبادرة إلى صلحهم عند اختلافهم، والتأليف بينهم وإعانتهم على البر والتقوى، وتحذيرهم من الإثم والبغي والعدوان لكل ما يؤدي إلى القطيعة وفساد الدين وإفساد ذات البين.

والمعنى الجامع للصلة: أنها إيصال ما أمكن من الخير إليهم، ودفع ما أمكن من الشر عنهم بحسب الوسع والطاقة، قال تعالى :(لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلا وُسْعَهَا)[١].

والرحم التي أمر الله بها أن توصل نوعان:

الأول: رحم الدين، وهي رحم عامة تشمل جميع المسلمين، وتتفاوت صلتهم حسب قربهم وبعدهم من الدين، وكذلك حسب قربهم وبعدهم المكاني ، ويدل على ذلك قوله ﷻ: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[٢]، فأثبت الله الأخوة الإيمانية لجميع المسلمين.

وقوله ﷻ : (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ)[٣].

قال القرطبي: (وظاهر الآية أنها خطاب لجميع الكفار).[٤]

الثاني: رحم القرابة، القريبة والبعيدة، من جهتي الأبوين.

---

[١] سورة البقرة من الآية (٢٨٦)

[٢] سورة الحجرات الآية (١٠)

[٣] سورة محمد الآية (٢٢)

[٤] تفسير القرطبي (٢٤٧/١٦)

ولكل من هذين النوعين حقوق ونوع صلة.
قال القرطبي: وبالجملة فالرحم على وجهين: عامة وخاصة، فالعامة رحم الدين، ويجب مواصلتها بملازمة الإيمان والمحبة لأهله ونصرتهم والنصيحة لهم، وترك مضارتهم، والعدل بينهم، والنصفة في معاملتهم، والقيام بحقوقهم الواجبة، كتمريض المرضى، وحقوق الموتى من غسلهم، والصلاة عليهم، ودفنهم، وغير ذلك من الحقوق المترتبة لهم، وأما الرحم الخاصة وهي رحم القرابة من طرفي الرجل أبيه وأمه، فتجب لهم الحقوق الخاصة وزيادة، كالنفقة، وتفقد أحوالهم، وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم، وتتأكد في حقهم حقوق الرحم العامة، حتى إذا تزاحمت الحقوق بدئ بالأقرب فالأقرب، وقال بعض أهل العلم: إن الرحم التي تجب صلتها هي كل رحم مَحْرَم، وعليه فلا تجب في بني الأعمام وبني الأخوال، وقيل: بل هذا في كل رحم ممن ينطلق عليه ذلك من ذوي الأرحام في المواريث مَحْرماً كان أم غير مَحْرم، فيخرج من هذا أن رحم الأم التي لا يتوارث بها لا تجب صلتهم ولا يحرم قطعهم، وهذا ليس بصحيح، والصواب أن كل ما يشمله ويعمه الرحم يجب صلته في كل حال قربة ودينية). [1]
وقد جاء الأمر بالوصية والإحسان إلى ذوي الأرحام في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة فمن الآيات القرآنية :
قوله تعالى :(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ) . [2]
والقربى بمعنى القرابة وهو معطوف على الوالدين أي وأمرناهم بالإحسان إلى القرابات بصلة أرحامهم.
يقول القرطبي : "وذي القربى" عطف ذي القربى على الوالدين، والقربى: بمعنى القرابة، وهو مصدر كالرجعى والعقبى، أي

---

[1] المرجع السابق (١٦/٢٤٨،٢٤٧)
[2] سورة البقرة الآية (٨٣)

وأمرناهم بالإحسان إلى القرابات بصلة أرحامهم.[1]
وقال الألوسي : (وَذِي القُرْبَى وَاليَتَامى وَالمَساكِين) عطف على «الوالدين» (والقُرْبَى) مصدر كالرجعى- والألف- فيه للتأنيث وهي قرابة الرحم والصلب ، وقد جاء هذا الترتيب اعتناء بالأوكد فالأوكد، فبدأ بالوالِدَيْن إذ لا يخفى تقدمهما على كل أحد في الإحسان إليهما، ثم بـ ذِي القُرْبَى لأن صلة الأرحام مؤكدة، ولمشاركة بالوالِدَيْن في القرابة وكونهما منشأ لها) .[2]
والسبب في تأكيد رعاية هذا الحق أن صلة القرابة تدعو إلي الألفة والمودة والرعاية والنصرة.
يقول الفخر الرازي : والسبب العقلي في تأكيد رعاية هذا الحق أن القرابة مظنة الاتحاد والألفة والرعاية والنصرة، فلو لم يحصل شيء من ذلك لكان ذلك أشق على القلب وأبلغ في الإيلام والإيحاش والضرورة، وكلما كان أقوى كان دفعه أوجب، فلهذا وجبت رعاية حقوق الأقارب).[3]
وهاهنا قال صاحب المنار كلمة جليلة وهي: (ومن لم يكن له بيت لا تكون له أمة) ، وذلك أن عاطفة التراحم وداعية التعاون إنما تكونان على أشدهما وأكملهما في الفطرة بين الوالدين والأولاد، ثم بين سائر الأقربين، فمن فسدت فطرته حتى لا خير فيه لأهله، فأي خير يرجى منه للبعداء والأبعدين؟ ومن لا خير فيه للناس لا يصلح أن يكون جزءا من بنية أمة؛ لأنه لم تنفع فيه اللحمة النسبية التي هي أقوى لحمة طبيعية تصل بين الناس، فأي لحمة بعدها تصله بغير الأهل فتجعله جزءا منهم يسره ما يسرهم ويؤلمه ما يؤلمهم، ويرى منفعتهم عين منفعته ومضرتهم عين مضرته، وهو ما يجب على كل شخص لأمته؟ قضى نظام الفطرة بأن تكون نعرة القرابة أقوى من كل نعرة، وصلتها أمتن من كل صلة، فجاء الدين يقدم حقوق الأقربين على سائر الحقوق، وجعل حقوقهم على حسب قربهم من الشخص)[4]

---

[1] الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢)
[2] روح المعاني (٣٠٨/١)
[3] مفاتيح الغيب (٥٨٧/٣)
[4] تفسير المنار(٣٠٤/١)

وقد عدّ الإسلام صلة الرحم من الحقوق العشرة التي أمر الله ﷻ بها أن توصل:
في قوله تعالى:(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) .[1]
فقوله (وبذي القربى) أي بصاحب القرابة من الإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات وأولاد كل وغيرهم وجاء هنا بالباء (وبذي) ولم تأت في سورة البقرة لأن الكلام هناك في بني إسرائيل وهذا وصية لهذه الأمة المحمدية فأكد هنا بالباء للاعتناء والاهتمام.
قال الألوسي :(وَبِذِي الْقُرْبَى) أي بصاحب القرابة من أخ وعم وخال وأولاد كل ونحو ذلك ، وأعيد الباء هنا ولم يعد في البقرة قال في البحر: لأن هذا توصية لهذه الأمة فاعتنى به وأكد، وذلك في بني إسرائيل ، (وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ) من الأجانب .
(وَالْجارِ ذِي الْقُرْبى) أي الذي قرب جواره (وَالْجارِ الْجُنُبِ) أي البعيد من الجنابة ضد القرابة، وهي على هذا مكانية، ويحتمل أن يراد- بالجار ذي القربى- من له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين- وبالجار الجنب- الذي لا قرابة له ولو مشركا.
أخرج أبو نعيم والبزار من حديث جابر بن عبد الله- وفيه ضعف- قال: قال رسول الله ﷺ: «الجيران ثلاثة: فجار له ثلاثة حقوق: حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان: حق الجوار وحق الإسلام، وجار له حق واحد: حق الجوار، وهو المشرك من أهل الكتاب».[2]
وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمر أنه ذبحت له شاة فجعل يقول لغلامه: أهديت لجارنا اليهودي أهديت لجارنا اليهودي؟ سمعت

---

[1] سورة النساء الآية (٣٦)
[2] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (المتوفى: ٤٣٠هـ) (٢٠٧/٥)ط السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، وشعب الإيمان للإمام البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) (١٠٥/١٢) ط مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» .[1] .[2]

ولقد وعد الله ﷻ ورسوله ﷺ واصل الرحم بالفضل العظيم ، والثواب الجزيل، من ذلك:

أولاً في الدنيا:

فهو موصول بالله ﷻ في الدنيا والآخرة، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرَغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة؛ قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب؛ قال: فهو لك؛ قال رسول الله ﷺ : اقرأوا إن شئتم: "فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ".[3] [4]

ويُبسط له في رزقه ، يُنسأ له في أجله – أن يزاد في عمره بسبب صلته لرحمه . فعن أبي سعيد الخدري ﷺعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من سرَّه أن يُبسط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره فليصل رحمه".[5]

ثانياً في الآخرة:

فإن صلة الرحم سبب من أسباب دخول الجنة مع أول الداخلين؛ عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة؛ فقال النبي ﷺ : "تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم".[6]

---

[1] صحيح البخاري كتاب الأدب باب الوصاة بالجار وقول الله تعالى: {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا} [النساء: ٣٦]- إلى قوله - {مختالا فخورا} [النساء: ٣٦](٦٠١٤)(١٠/٨)

[2] روح المعاني (٢٨/٣)

[3] سورة محمد الآية (٢٢)

[4] صحيح البخاري كتاب التفسير باب {وتقطعوا أرحامكم} [محمد: ٢٢] (٤٨٣٠) (١٣٤/٦)

[5] صحيح البخاري كتاب الأدب باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم(٥٩٨٥) (٥/٨)

[6] صحيح البخاري كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة(١٣٩٦) (١٠٤/٢)

ثالثا : تكريم الإنسان لأخيه الإنسان

ويتسع نطاق التكريم ليشمل تكريم الإنسان لأخيه الإنسان من بني جنسه ويكون ذلك بالإحسان إليه، وحسن الظن به، وحسن معاملته، والتعامل معه بالشفقة والتسامح، والتواصي بالحق وبالمرحمة مصداقا لقوله تعالى:﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [1].

وفي دائرة التواصي بالحق تدخل النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي دائرة المرحمة يدخل الفضل والتناصر والتعاون على البر والتقوى.

قال ابن كثير : وقوله: { وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ } أي: كان من المؤمنين العاملين صالحا، المتواصين بالصبر على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم. كما جاء في الحديث: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" [2] وفي الحديث الآخر: " لا يرحم الله من لا يرحم الناس" [3] . [4]

وقال الألوسي : قوله سبحانه (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) عطف على آمنوا أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الإيمان والثبات عليه أو بذلك والصبر على الطاعات أو به، والصبر على المعاصي وعلى المحن التي يبتلى بها الإنسان (وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) أي بالرحمة على عباده عز وجل ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو تواصوا بأسباب رحمة الله تعالى وما يؤدي إليها من الخيرات على أن المرحمة مجاز عن سببها أو الكلام على تقدير مضاف. وذكر أن تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ إشارة إلى تعظيم أمر الله تعالى وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ

---

[1] سورة البلد الآية(١٧)

[2] سنن أبي داود للإمام أبي داود السّجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) باب في الرحمة (٤٩٤١) (٢٨٥/٤) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ، والمسند (٦٤٩٤)(٣٣/١١)

[3] صحيح البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تبارك وتعالى: {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى} [الإسراء: ١١٠] (٧٣٧٦)(٩١١٥)

[4] تفسير ابن كثير(٤٠٩/٨)

إشارة إلى الشفقة على خلق الله تعالى .[1]
وقال تعالى : (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) .[2]
والوصية بالحق هي أن يوصي بعضهم بعضا بالأمور الثابتة التي لا تتغير من الإيمان بالله تعالى ورسله وكتبه واليوم الآخر وجميع أركان الإيمان.
أما الوصية بالصبر فتشمل الصبر علي أداء الطاعات التي تشق علي النفس والصبر عن المعاصي التي تميل إليها النفس بحكم الطبيعة البشرية.
يقول الألوسي : قوله تعالى وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ إلخ بيان لتكميلهم لغيرهم أي وصى بعضهم بعضا بالأمر الثابت الذي لا سبيل إلى إنكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الإيمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله عليهم السلام في كل عقد وعمل وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ عن المعاصي التي تشتاق إليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها أداؤها وعلى ما يبتلي الله تعالى به عباده من المصائب والصبر المذكور داخل في الحق، وذكر بعده مع إعادة الجار والفعل المتعلق هو به لإبراز كمال العناية به ويجوز أن يكون الأول عبارة رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى الله تعالى، والثاني عبارة رتبة العبودية التي هي الرضا بما فعل الله تعالى فإن المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتوق إليه من فعل أو ترك بل هو تلقي ما ورد منه ﷻ بالجميل والرضا به باطنا وظاهرا.[3]
وبهذه الأموريتحقق تكريم الإنسان لأخيه الإنسان في أروع صوره وأبهى حلله وذلك لأن مبنى حقوق الإنسان التي أمرنا أن نتواصى بها قائمة على أن الإنسان مكرم لتكريم الله تعالى له، ومنحه إياه ذلك، وذلك التكريم يرتبط بعبودية الإنسان لربه وإيمانه به .
وبهذا الرباط الإيماني يعد المسلمون جميعا إخوة في الدين .
مصداقا لقوله ﷻ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ

---

[1] روح المعاني(٣٥٦/١٥)
[2] سورة العصر الآيات (١-٣)
[3] روح المعاني (٤٥٨/١٥) و روح البيان(٥٠٧/١٠)

وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[1]
يقول ابن كثير : وقوله: {إنما المؤمنون إخوة} أي: الجميع إخوة في الدين، كما قال رسول الله ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه" [2].
وفي الصحيح: "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" [3]
وفيه أيضا : (إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين، ولك بمثله)[4] والأحاديث في هذا كثيرة، وفي الصحيح: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر" [5] .
وفي الصحيح أيضا:"المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا" وشبك بين أصابعه [6]
وهذه الرابطة الإيمانية تفرض على كل منهم الالتزام بعدل الإسلام وسماحته، والبر بالناس جميعا حتى ولو خالفونا في الرأي أو العقيدة يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى). [7]
والمعنى كما يقول صاحب روح البيان : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ) مقيمين لاوامره ومتمسكين بها معظمين لها مراعين لحقوقها (شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ) اى بالعدل خبر بعد خبر (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ)

---

[1] سورة الحجرات الآية (١٠)
[2] صحيح البخاري كتاب المظالم والغصب باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه(٢٤٤٢) (١٢٨/٣)
[3] صحيح البخاري كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر(٢٦٩٩) (٢٠٧٤/٤)
[4] صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب بلفظ (ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك بمثل) (٢٧٣٢) (٢٠٩٤/٤)
[5] صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم(٢٥٨٦) (١٩٩٩/٤)
[6] صحيح البخاري كتاب المظالم والغصب باب نصر المظلوم(٢٤٤٦) (١٢٩/٢)
[7] سورة المائدة من الآية (٨)

اى ولا يحملنكم (شَنَآنُ قَوْمٍ) اى شدة بغضكم للمشركين (عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا) اى على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما فى قلوبكم (اعْدِلُوا هُوَ) اى العدل (أَقْرَبُ لِلتَّقْوى) التي أمرتم بها وإذا كان وجوب العدل فى حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه فى حق المسلمين (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فانه ملاك الأمر وزاد سفر الآخرة (إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ) من الأعمال فيجازيكم بذلك . [١]

رابعا : تكريــم الــمرأة :

لقد اتخذ تكريم المرأة في الإسلام صوراً عديدة ومظاهر متنوعة أذكر منها :

١ـ ضرورة المحافظة على حياتها :

جاء ذلك عندما نعى القرآن الكريم على عرب الجاهلية ما كانوا يقدمون عليه من وأدهن .

يقول تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) [٢] .

و الموءودة هي المقتولة حية بدفنها في التراب وقد كانوا يفعلون بها هذا خشية العار والفقر .

واختلفت القراءة في قوله تعالى (سُئلت) فقراءة الجمهور بالبناء للمفعول علي معنى أن الموءودة سئلت عن سبب قتلها وإذا كان هذا هو حال المقتول فكيف يكون حال القاتل فهو كالتهديد له .

وقرئ بالبناء بالفاعل (سألت) أي طالبت بدمها .

يقول ابن كثير: وقوله: {وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت} هكذا قراءة الجمهور: {سئلت} والموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، فيوم القيامة تسأل الموءودة على أي ذنب قتلت، ليكون ذلك تهديدا لقاتلها، فإذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا؟!

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: {وإذا الموءودة سئلت} أي: سألت. وكذا قال أبو الضحى: "سألت" أي: طالبت بدمها. [٣]

---

[١] روح البيان(٣٥٨/٢)

[٢] سورة التكوير الآيتان(٨- ٩)

[٣] تفسير ابن كثير(٣٣٣/٨) ، والقراءات في البحر المحيط (٤٦/٠)

وقال الألوسي (وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ) وهي البنت التي تدفن حية من الوأد وهو الثقل كأنها سميت بذلك لأنها تثقل بالتراب حتى تموت.
وقيل: هو مقلوب الأوئد وحكاه المرتضى في درره عن بعض أهل اللغة وهو غير مرتضى عند أبي حيان وكانت العرب تئد البنات مخافة لحوق العار بهم من أجلهن.
وقيل: مخافة الإملاق ولعله بالنسبة إلى بعضهم ومنهم من يقول: الملائكة بنات الله سبحانه عما يقولون فألحقوا البنات به تعالى فهو ﷻ أحق بهن.
وذكر غير واحد أنه كان الرجل منهم إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها: انظري فيها، ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض.
وقيل: كانت الحامل إذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتا
رمت بها فيها، وإن ولدت ابنا حبسته.[1]
وقد وسم القرآن الكريم هؤلاء الجاهلين بسوء حكمهم وخطأ تقديرهم :
عند ما كانوا يشعرون بالهوان ويتوارون من الخجل عندما يرزق أحدهم بالبنت فقال عز من قائل: **(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)**[2]
يقول الخطيب : وهو بيان لتلك الحال من الانزعاج، والكرب، والبلاء، التي تستولى على هؤلاء المشركين من العرب، حين يبشر أحدهم بأنه قد ولدت له أنثى.. هنالك ينزل عليه هذا الخبر نزول الصاعقة، فيضطرب كيانه، وتغلى دماء الكمد فى عروقه، ويضيق

---
[1] روح المعاني (٢٥٦/٥)
[2] سورة النحل الآيتان (٥٨- ٥٩)

صدره، حتى لتختنق أنفاسه ويسودّ وجهه.. فإذا ظهر في الناس جعل يتوارى منهم، ذلة وانكسارا، حتى لكأنه لبس عارا، أو جنى جناية..! وهذا جهل فاضح، وضلال غليظ.. ولو كان معه شيء من النظر والتعقل، لعرف أن هذا الأمر ليس له، وأن ليس لأحد أن يخلق ذكرا أو أنثى، وإنما ذلك إلى الله وحده.. فلم يخجل من أن تولد له أنثى؟

ولم يمشي في الناس مطأطئ الرأس، ذليل النفس؟ أيستطيع عاقل أن يتهمه بأنه جنى هذه الجناية المنكرة عندهم، وأنه ولد بنتا ولم يلد ولدا؟ ذلك قول لا يقال إلا في مجتمع السفهاء والحمقى! - وفي قوله تعالى: «وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى» - إشارة إلى أن الولد نعمة من النعم التي يبشر بها، سواء أكان ذكرا أم أنثى، وأن من شأن هذه البشرى أن تملأ قلب الوالد بالفرحة والبشر.. تلك طبيعة الكائن الحيّ، حين يولد له مولود.. يهشّ له ويسعد به، بمجرد أن يرى وجهه، من قبل أن يتعرف عليه، ويعلم أذكر هو أم أنثى! .. فما يتوقف الحيوان عن فرحته حين يستقبل ولده، حتى يتبين الذكر من الأنثى.. بل إن مواليده كلها سواء عنده.. هي قطعة منه، وثمرة شجرة الحياة المغروسة في كيانه، والإنسان الذي يفرّق بين مواليده، هو خارج على الفطرة، منحرف عن سنة الحياة في الأحياء..

وقوله تعالى: «كَظِيمٌ» أي مكظوم، ممتلئ غيظا، وألما. ومنه الكظة: وهي الامتلاء من الطعام..

وقوله تعالى: «أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ» - هو تعقيب على هذا الموقف المنحرف الضال، الذي يقفه المشركون من مواليدهم، من التفرقة في الحكم بين الذكور والإناث..[1]

٢- إعطاؤها الحق كاملا في ممارسة العبادة والحصول على الأجر العظيم

أعطى الله ﷻ المرأة الحق كاملا في أن تمارس العبادة وتحصل على الأجر العظيم والمغفرة إن هي فعلت ما أمرها به الله ﷻ.

مصداق ذلك قوله تعالى (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ وَالْمُؤْمِنِينَ

---

[1] التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب (١٣٩٠هـ) (٣١١/٧-٣١٢)الناشر: دار الفكر العربي القاهرة

وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيما)[1]

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية روايات كثيرة منها ما ذكره الإمام السيوطي حيث قال : أخرج الترمذي وحسنه من طريق عكرمة عن أم عمارة الأنصاري أنها أتت النبي ﷺ فقالت ما أرى كل شئ إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشئ فنزلت إن المسلمين والمسلمات[2].[3]

ومنها ما ذكره الزرقاني في مناهله عند حديثه عن أسباب النزول حيث قال :

أخرج الحاكم والترمذي عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء فأنزل الله: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَاالْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} [4].[5]

وأخرج الحاكم أيضا عنها أنها قالت: قلت: يا رسول الله: تذكر الرجال ولا تذكر النساء فأنزلت: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} وأنزلت {أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى} [6].

وأخرج الحاكم أيضا أنها قالت تغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما

---

[1] سورة الأحزاب الآية (٣٥) .

[2] سنن الترمذي باب: ومن سورة الأحزاب(٣٢١١)(٣٥٤/٥)

[3] لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)(١٥٨/١) ضبطه الأستاذ أحمد عبد الشافي ط دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

[4] سورة آل عمران الآية (١٩٥)

[5] سنن الترمذي باب: ومن سورة النساء(٣٠٢٣)(٢٣٧/٥) والمستدرك على الصحيحين للحاكم (المتوفى: ٤٠٥هـ) (٣١٧٤) (٣٢٨/٢) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ط دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠

[6] المستدرك على الصحيحين للحاكم(٣٥٦٠) (٤٥١/٢)

لنا نصف الميراث. فأنزل الله: {وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ} وأنزل: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} [١].
وعن المعنى العام للآية يقول السمرقندي في بحر العلوم :
يعني المسلمين من الرجال، والمسلمات من النساء، وَالْمُؤْمِنِينَ يعني: المصدقين الموحدين من الرجال وَالْمُؤْمِناتِ يعني: المصدقات الموحدات من النساء وَالْقانِتِينَ يعني: المطيعين، وأصل القنوت القيام ثم يكون للمعاني، ويكون للطاقة كقوله وَالْقانِتِينَ ويكون للإقرار بالعبودية كقوله: (كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ) [٢]
وَالْقانِتاتِ أي: المطيعات من النساء وَالصَّادِقِينَ يعني: الصادقين في إيمانهم من الرجال وَالصَّادِقاتِ من النساء وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِراتِ على أمر الله تعالى من الرجال والنساء وَالْخاشِعِينَ وَالْخاشِعاتِ يعني: المتواضعين من الرجال والنساء وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقاتِ يعني: المنفقين أموالهم في طاعة الله من الرجال والنساء وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِماتِ قال مقاتل: من صام رمضان، وثلاثة أيام من كل شهر فهو من الصائمين والصائمات، ثم قال: وَالْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحافِظاتِ يعني: من الفواحش من الرجال والنساء وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ يعني: باللسان من الرجال والنساء.
فذكر أعمالهم ، ثم ذكر ثوابهم فقال: أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً في الدنيا لذنوبهم وَأَجْراً عَظِيماً في الآخرة وهو الجنة. [٣]

٣ــ تيسير السبيل أمامها لتتفرغ لأجل مهمة في الحياة وهي حفظ النسل والقيام عليه بالرعاية والتعليم والتربية والتهذيب

يسر الله ﷻ السبيل للمرأة لكي تتفرغ لمهمة عظيمة في هذه الحياة الدنيا وهي حفظ النسل بأن تقوم عليه بالرعاية والتعليم والتربية والتهذيب .
وحتى تستطيع الأم القيام بهذه المهمة فلا بد من أن يتهيأ لها من

---

[١] مناهل العرفان في علوم القرآن للمؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) (١٢٢،١٢٣/١) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة
[٢] سورة البقرة من الآية (١١٦) و سورة الروم من الآية (٢٦)
[٣] بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) (٦١/٣)

يكفل أمر القيام بمعاشها والسعي على رزقها ورعاية مصالحها، ولذلك فقد ارتبطت قوامة الرجال على أمور الأسرة بدرجة الرجولة وبالإنفاق قال ﷻ:(**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**)[1]

فالله ﷻ جعل الرجل قيماً على المرأة أي رئيسها وحاكما عليها ومصلحها إذا اعوجت وهذه القوامة بتفضيل الله تعالى للرجل على المرأة لأن له من الحول والقوة ما ليس للمرأة ولهذا كانت النبوة والملك مختصان بالرجل وكذلك منصب القضاء وغيره وأيضا كانت هذه القوامة للرجل بسبب ما يقوم به من النفقة على المرأة من المهر والنفقة وتكاليف الحياة والمعيشة.

يقول ابن كثير : قوله تعالى: {الرجال قوامون على النساء} أي: الرجل قيم على المرأة، أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت {بما فضل الله بعضهم على بعض} أي: لأن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة؛ ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال وكذلك الملك الأعظم؛ لقوله ﷺ: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" [2] وكذا منصب القضاء وغير ذلك.

{وبما أنفقوا من أموالهم} أي: من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهن في كتابه وسنة نبيه ﷺ ، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه، وله الفضل عليها والإفضال، فناسب أن يكون قيما عليها، كما قال الله تعالى: { وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ }[3].

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: {الرجال قوامون على النساء} يعني: أمراء عليها أي تطيعه فيما أمرها به من طاعته،

---

[1] سورة النساء الآية (٣٤)

[2] صحيح البخاري كتاب المغازي باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر (٤٤٢٥) (٨/٦)

[3] سورة البقرة من الآية(٢٢٨)

وطاعته: أن تكون محسنة إلى أهله حافظة لماله.[1]
وقد ذكر صاحب المنار عند تفسيره لهذه الآية كلاما نفيسا أذكره بنصه لأهميته :
لما نهى الله تعالى كلا من الرجال والنساء عن تمني ما فضل به بعضهم على بعض، وأرشدهم إلى الاعتماد في أمر الرزق على كسبهم، وأمرهم أن يؤتوا الوارث نصيبهم، ولما كان من جملة أسباب هذا البيان ذكر تفضيل الرجال على النساء في الميراث والجهاد كان لسائل هنا أن يسأل عن سبب هذا الاختصاص، وكان جواب سؤاله قوله تعالى: الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم، أي: إن من شأنهم المعروف المعهود القيام على النساء بالحماية والرعاية والولاية والكفاية، ومن لوازم ذلك أن يفرض عليهم الجهاد دونهن، فإنه يتضمن الحماية لهن، وأن يكون حظهم من الميراث أكثر من حظهن ، لأن عليهم من النفقة ما ليس عليهن، وسبب ذلك أن الله تعالى فضل الرجال على النساء في أصل الخلقة، وأعطاهم ما لم يعطهن من الحول والقوة، فكان التفاوت في التكاليف والأحكام أثر التفاوت في الفطرة والاستعداد.
وثم سبب آخر كسبي يدعم السبب الفطري، وهو ما أنفق الرجال على النساء من أموالهم ، فإن المهور تعويض للنساء ومكافأة على دخولهن بعقد الزوجية تحت رياسة الرجال، فالشريعة كرمت المرأة إذ فرضت لها مكافأة عن أمر تقتضيه الفطرة، ونظام المعيشة وهو أن يكون زوجها قيما عليها، فجعل هذا الأمر من قبيل الأمور العرفية التي يتواضع الناس عليها بالعقود لأجل المصلحة، كأن المرأة تنازلت باختيارها عن المساواة التامة، وسمحت بأن يكون للرجل عليها درجة واحدة هي درجة القيامة والرياسة، ورضيت بعوض مالي عنها، فقد قال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) [2] .
فالآية أوجبت لهم هذه الدرجة التي تقتضيها الفطرة ، لذلك كان من تكريم المرأة إعطاؤها عوضا ومكافأة في مقابلة هذه الدرجة وجعلها

---

[1] تفسير ابن كثير(٢/٢٩٣،٢٩٢)
[2] سورة البقرة من الآية(٢٢٨)

بذلك من قبيل الأمور العرفية؛ لتكون طيبة النفس مثلجة الصدر قريرة العين.
ولا يقال: إن الفطرة لا تجبر المرأة على قبول عقد يجعلها مرءوسة للرجل بغير عوض، فإنا نرى النساء في بعض الأمم يعطين الرجال المهور ليكن تحت رياستهم، فهل هذا إلا بدافع الفطرة الذي لا يستطيع عصيانه إلا بعض الأفراد، وقد سبق لنا في بيان حكمة تسمية المهور أجورا من عهد قريب نحوا مما تقدم هنا، وهو ظاهر جلي، وإن لم يهتد إليه من عرفت من المفسرين، وجعل بعضهم إنفاق الأموال هنا شاملا للمهر، ولما يجب من النفقة على المرأة بعد الزواج.
قال الأستاذ الإمام: المراد بالقيام هنا هو الرياسة التي يتصرف فيها المرءوس بإرادته واختياره، وليس معناها أن يكون المرءوس مقهورا مسلوب الإرادة لا يعمل عملا إلا ما يوجهه إليه رئيسه، فإن كون الشخص قيما على آخر هو عبارة عن إرشاده والمراقبة عليه في تنفيذ ما يرشده إليه أي: ملاحظته في أعماله وتربيته، ومنها حفظ المنزل وعدم مفارقته ولو لنحو زيارة أولي القربى إلا في الأوقات والأحوال التي يأذن بها الرجل ويرضى، أقول: ومنها مسألة النفقة فإن الأمر فيها للرجل، فهو يقدر للمرأة تقديرا إجماليا يوما يوما أو شهرا شهرا أو سنة سنة، وهي تنفذ ما يقدره على الوجه الذي ترى أنه يرضيه ويناسبه حاله من السعة والضيق.
قال: والمراد بتفضيل بعضهم على بعض تفضيل الرجال على النساء، ولو قال:" بما فضلهم عليهن "، أو قال: " بتفضيلهم عليهن " لكان أخصر وأظهر فيما قلنا إنه المراد، وإنما الحكمة في هذا التعبير هي عين الحكمة في قوله: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ)[1] ، وهي إفادة أن المرأة من الرجل، والرجل من المرأة بمنزلة الأعضاء من بدن الشخص الواحد، فالرجل بمنزلة الرأس، والمرأة بمنزلة البدن، (أقول) : يعني أنه لا ينبغي للرجل أن يبغي بفضل قوته على المرأة، ولا للمرأة أن تستثقل فضله وتعده خافضا لقدرها، فإنه لا عار على الشخص أن كان رأسه أفضل من يده، وقلبه أشرف من معدته مثلا ، فإن تفضل بعض أعضاء البدن

---

[1] سورة النساء من الآية(٣٢)

على بعض بجعل بعضها رئيسا دون بعض إنما هو لمصلحة البدن كله لا ضرر في ذلك على عضو ما، وإنما تتحقق وتثبت منفعة جميع الأعضاء بذلك، كذلك مضت الحكمة في فضل الرجل على المرأة في القوة ، وللقدرة على الكسب والحماية، ذلك هو الذي يتيسر لها به القيام بوظيفتها الفطرية وهي الحمل والولادة وتربية الأطفال وهي آمنة في سربها، مكفية ما يهمها من أمر رزقها.
وفي التعبير حكمة أخرى وهي الإشارة إلى أن هذا التفضيل إنما هو للجنس لا لجميع أفراد الرجال على جميع أفراد النساء، فكم من امرأة تفضل زوجها في العلم والعمل بل في قوة البنية، والقدرة على الكسب، ولم ينبه الأستاذ إلى هذا المعنى على ظهوره من العبارة وتصديق الواقع له وإن ادعى بعضهم ضعفه، وبهذين المعنيين اللذين أفادتهما العبارة ظهر أنها في نهاية الإيجاز الذي يصل إلى حد الإعجاز؛ لأنها أفادت هذه المعاني كلها .[1]

٤ـ حق المعاشرة بالمعروف أو المفارقة بالمعروف .

يدل على ذلك قوله تعالى: (**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**) [2]

فالله ﷻ كفل هذا الحق للمرأة فأمر بمعاشرتهن بالمعروف ويكون ذلك بطيب الأقوال وحسن الأفعال بحسب القدرات كما يحب الرجل أن يكون هذا الأمر منها فإذا استحالت العشرة بين الزوجين ولم يقدر على المعاشرة بالمعروف أمر الله ﷻ بالمفارقة بالمعروف فإما إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان أي تكون المفارقة بدون تعنيف مع إعطائهن كل حقوقهن من متعة ونفقة حتى يكون ذلك جبرا لخاطرهن وتعويضا لما لحق بهن من ضرر الفراق .
قال ابن كثير : قوله تعالى (وعاشروهن بالمعروف)أي : طيبوا أقوالكم لهن ، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم ، كما تحب

---

[1] تفسير القرآن الحكيم (٥/٥٥-٥٧)
[2] سورة النساء من الآية (١٩)

ذلك منها ، فافعل أنت بها مثله ، كما قال تعالى : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ) [1]

وقال رسول الله ﷺ " خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي" [2]

وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر ، يداعب أهله ، ويتلطف بهم ، ويوسعهم نفقته ، ويضاحك نساءه ، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودد إليها بذلك . قالت : سابقني رسول الله ﷺ فسبقته ، وذلك قبل أن أحمل اللحم ، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فسبقني ، فقال :" هذه بتلك" [3] ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ ، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان ، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها ، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد ، يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار ، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام ، يؤانسهم بذلك ﷺ وقد قال الله تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) . [4] . [5]

وعند تفسير قوله ﷻ:(فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) [6]

يقول الشيخ المراغي : فإذا قاربت العدة على الانتهاء، فإن شئتم فأمسكوهن وراجعوهن مع الإحسان في الصحبة وحسن العشرة، وأداء الحقوق من النفقة والكسوة، وإن صممتم على المفارقة فلتكن بالمعروف وعلى وجه لا عنف فيه ولا مشاكسة، مع إيفاء ما لهنّ من حقوق لديكم كمؤخر صداق، وإعطاء متعة حسنة تذكركن بفضلها، ويتحدث الناس بحسن أحدوثتها، ويكون فيها جبر

---

[1] سورة البقرة من الآية(٢٢٨)

[2] سنن الترمذي باب في فضل أزواج النبي ﷺ (٣٨٩٥)(٧٠٩/٥)

[3] سنن أبي داود باب في السبق باب في السبق على الرجل (٢٥٧٨)(٢٩/٣)المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ومسند الإمام أحمد بن حنبل(٢٦٢٧٧)(٣١٣/٤٣)

[4] سورة الأحزاب الآية (٢١)

[5] تفسير ابن كثير(٤٦٦/١)

[6] سورة الطلاق من الآية (٢)

لخاطرهن، لما لحقن من ضرر بالفراق، وليكون فيها بعض السلوة لهن عما فقدنه من العشير والأنيس.[1]

٥- جعل الإسلام للمرأة نصيبا مفروضا في تركة الرجل

كرم الله ﷻ المرأة بأن جعل لها نصيبا مفروضا في تركة الرجل سواء أكانت هذه المرأة اما أو ابنة أو زوجا أو أختا، وضمن لها بذلك الحق في الحياة الحرة الكريمة في حياة أهلها أو بعد رحيلهم.

قال تعالى : (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا)[2]

وعن مناسبة نزول هذه الآية يقول القرطبي: لما ذكر الله تعالى أمر اليتامى وصله بذكر المواريث.

ونزلت هذه الآية في أوس ابن ثابت الأنصاري، توفي وترك امرأة يقال لها: أم كحة [3]، وثلاث بنات له منها، فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما: سويد وعرفجة، فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته وبناته شيئا، وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وإن كان ذكرا، ويقولون: لا يعطى إلا من قاتل على ظهور الخيل، وطاعن بالرمح، وضارب بالسيف، وحاز الغنيمة ، فذكرت أم كحة ذلك لرسول الله ﷺ فدعاهما، فقالا: يا رسول الله، ولدها لا يركب فرسا، ولا يحمل كلا ولا ينكأ عدوا. فقال ﷺ: (انصرفا حتى أنظر ما يحدث الله لي فيهن) ، فأنزل الله هذه الآية ردا عليهم، وإبطالا لقولهم وتصرفهم بجهلهم، فإن الورثة الصغار كان ينبغي أن يكونوا أحق بالمال من الكبار، لعدم تصرفهم والنظر في مصالحهم، فعكسوا الحكم، وأبطلوا الحكمة فضلوا بأهوائهم، وأخطئوا في آرائهم وتصرفاتهم.[4]

---

[1] تفسير المراغي (١٣٩/٢٨)

[2] سورة النساء الآية (٧)

[3] في تفسير الطبري (أم كحلة) (٥٩٨/٧) وفي تفسير ابن كثير(أم كجة)(٢١٩/٢)

[4] الجامع لأحكام القرآن (٤٦/٥) وتفسير آيات الأحكام للمؤلف: محمد علي السايس الأستاذ بالأزهر الشريف (٢٢٢/١) المحقق: ناجي سويدان الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر تاريخ النشر: ٢٠٠٢/١٠/٠١

وقال الفخر: كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال، ويقولون لا يرث إلا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة، فبين تعالى أن الإرث غير مختص بالرجال، بل هو أمر مشترك فيه بين الرجال والنساء، فذكر في هذه الآية هذا القدر، ثم ذكر التفصيل بعد ذلك ، ولا يمتنع إذا كان للقوم عادة في توريث الكبار دون الصغار ودون النساء، أن ينقلهم الله ﷻ عن تلك العادة قليلا قليلا على التدريج، لأن الانتقال عن العادة شاق ثقيل على الطبع، فإذا كان دفعة عظم وقعه على القلب، وإذا كان على التدريج سهل، فلهذا المعنى ذكر الله تعالى هذا المجمل أولا، ثم أردفه بالتفصيل. (١)

خامسا : تكريم الأقليات في المجتمع الإسلامي:

لقد قضى الإسلام قضاء مبرما على كافة أنواع التمييز العنصري القائم على اختلاف اللون أو الجنس، فالأبيض كالأسود والعربي كالعجمي لا يتفاضلون ولا يتمايزون إلا بالتقوى والعمل الصالح، فأكرم الناس أتقاهم كما جاء في الآية الكريمة (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**). (٢)

يقول ابن كثير: وقوله: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم} أي: إنما تتفاضلون عند الله بالتقوى لا بالأحساب. وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ: عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أكرم؟ قال: "أكرمهم عند الله أتقاهم" قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: "فأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله"، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: "فعن معادن العرب تسألوني؟" قالوا: نعم. قال: "فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا". (٣)

---

(١) مفاتيح الغيب(٥٠٢/٩)

(٢) سورة الحجرات الآية (١٣)

(٣) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب {أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه} [البقرة: ١٣٣] الآية(٣٣٧٤)(١٤٧/٤)

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[1].[2]
وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح رقى بلال فأذن على الكعبة فقال بعض الناس: هذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة، وقال بعضهم: إن يسخط الله هذا يغيره فنزلت (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية).[3]
وأخرج البيهقي وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: خطبنا رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال: يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى إنَّ أكرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتقاكُمْ ألا هل بلغت؟ قالوا:بلى يا رسول الله قال: فليبلغ الشاهد الغائب [4].[5]

هذا كله مع المسلم أما غير المسلم :

فإنه يعيش مكرما لا يجوز لأحد أن ينتقصه أو ينتهك عرضه أو ماله أو دمه، أو يجبره على ما يكره، قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) [6] .
فهذا نص صريح في القرآن يبين انه لا يحق لأحد أن يكره أحدا علي الدخول في الإسلام مصداقا لقوله تعالى (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) [7] وقوله (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) [8]
وعن سبب نزول هذه الآية يقول الإمام السيوطي :

---

[1] صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله (٢٥٦٤) (١٩٨٧/٤)
[2] تفسير ابن كثير (٧/ ٣٨٦)
[3] تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم(١٨٦١٩) (٣٣٠٦/١٠) ولباب النقول في أسباب النزول(١٨٢/١)
[4] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(١٠٠/٣) وشعب الإيمان لأبي بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) (٤٧٧٤) (١٣٢/٧) ط مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ط الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م
[5] روح المعاني (١٣ /٣١٤)
[6] سورة البقرة من الآية (٢٥٦)
[7] سورة الكهف من الآية (٢٩)
[8] سورة البقرة من الآية (٢٥٦)

قوله تعالى (لا إكراه في الدين) روى أبو داود والنسائي وابن حبان عن ابن عباس قال كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا لا ندع أبناءنا فأنزل الله لا إكراه في الدين .

وأخرج ابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال نزلت لا إكراه في الدين في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين كان له إبنان نصرانيان وكان هو مسلما فقال للنبي ﷺ ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية فأنزل الله ﷻ الآية [1]. [2]

فمن أراد الله تعالى هدايته شرح صدره للإسلام ومن لم يرد ختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة.

يقول ابن كثير: يقول تعالى: {لا إكراه في الدين} أي: لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا .

وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار، وإن كان حكمها عاما. [3]

وقال المصطفى ﷺ حاثا على استقرار وتلاحم المجتمع بكافة عناصره:

«ألا من ظلم معاهدا أو انتقص منه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه

---

[1] سنن أبي داود باب في الأسير يكره على الإسلام(٢٦٨٢) (٣/٥٨) ، والسنن الكبرى للنسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: ٢٥٦](١٠٩٨٢) (١٠/٣٦) المحقق: حسن عبد المنعم شلبي الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ط الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م ؛ وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ذكر الإخبار عن الحالة التي من أجلها أنزل الله جل وعلا: {لا إكراه في الدين} [البقرة: ٢٥٦] (١٤٠) (١/٣٥٢) المحقق: شعيب الأرنؤوط ط مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣

[2] لباب النقول في أسباب النزول (١/٣٧)

[3] تفسير ابن كثير (١/٦٨٢)

شيئا بغير طيبنفس فأنا حجيجه يوم القيامة» .[1]
وقال ﷺ: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما» .[2]
ومن مظاهر التكريم نهي الإسلام عن التعذيب سواء كان المعذب مسلما أو ذميا، روى عروة ابن الزبير أن هشام بن حكيم وجد رجلا وهو (وال) على حمص يشمس ناسا من القبط في أداء الجزية، فقال: ما هذا؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا» .[3]
ولو لم يعرف هشام أن هذا الوعيد يشمل المعذبين من أهل الذمة كما يشمل المسلمين لما ذكر به الوالي الذي كان يقوم- عن جهل بقواعد الإسلام السمحة- بتعذيب بعض القبط.[4]

---

[1] سنن أبي داود باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات (٣٠٥٢) (١٧٠/٣)
[2] صحيح البخاري باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم كتاب الجزية(٣١٦٦)(٩٩/٤)
[3] صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق(٢٦١٣) (٤/ ٢٠١٨)وسنن أبي داود باب في التشديد في جباية الجزية (٣٠٤٥) (١٦٩/٣)
[4] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (١١٤٧/٤)

خـــــــاتـــــمة

الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات، إليه يرجع الفضل كله، والأمر كله، والحمد كله، "سبحانك ربنا لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك" ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فالحمد لله والفضل كله يرجع إليه حيث وجهني لاختيار هذا الموضوع، والذي تعلمت منه الكثير ، ثم الحمد لله أن وفقني إلى الكتابة فيه حتى خرج في هذه الصورة المتواضعة والتي أسأل الله تعالى أن تنال رضاه أولاً، ثم رضا من طالعها، والله أسأل ألا يحرمني الثواب من ورائها إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ولقد كشف لي البحث في هذا الموضوع عن العديد من النتائج والمحصلات، وقد ذكرت في ثنايا البحث تفصيلاً، ولكني أجملها هنا بشكل مختصر وهي كالآتي:

خلق الله ﷻ الإنسان وكرمه على باقي مخلوقاته (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)وكرمه عندما خلقه من طين ونفخ فيه من روحه ، وفضله عندما أسجد له الملائكة الكرام ، وكرمه عندما جعله محل الخلافة في الأرض { إني جاعل في الأرض خليفة } وكرمه بأن علمه علم ما لم يكن يعلم { وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين }،وكرمه عندما تاب عليه ودله على باب التوبة { فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم }وكرمه بإرسال الرسل للدلالة على مراده من خلقه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فلم يتركه في شطط العقل وتيه الاجتهاد المبني على الظن ،وفضله بأن جعله محل رحمته تتنزل رحماته على المخلوق الضعيف ، فيسخر له الكون،فيقول له خلقت الكون مسخرا لك فلا تنشغل بما خلق لك عما خلقت له ،ويمتن على العبد بأن ميزه عن باقي المخلوقات بالعقل المميز،وجعله مناط التكليف فبدونه لا يؤمر بأمر ولا يكون محل نهي،ولا يخاطب بالشرع

فإذا استشعر العبد من هذه المكرمات ، وهذا التفضيل ما يؤهله للمكانة التي رفعه الله لها كان عليه أن يسأل : ما المطلوب مني وأنا

الذي أعتلي هذه المكانة من الكون ؟ ثم لماذا وأنا العبد الضعيف تكون لي هذه المكرمات ؟

يأتيه جواب العليم الحكيم ﷻ: { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } لقد خلقت الدنيا من أجلك فلا تتعب ، وخلقتك من أجلي فلا تلعب .. الدنيا بما فيها من مخلوقات سخرت لك فلا تنشغل بها بعيدا عن كنف ربك ورعايته فتحيا النصب والتعب ويكون مآلك التيه بين مفاوز الدنيا والضلال بين أركانها المادية والمعنوية ، ولكن اعلم أنك مخلوق لمهمة محدودة ، هي أن تعي قدرك ، وتعمل لربك ، فقد خلقت لدور لو فطنت له أصلحت الدنيا ، وإن شغلك اللعب بالدنيا ، بمالها ، ولهوها ، وضياع الأعمار فيها أضعت نفسك وسفلت بقدرك وانتزعت منك أسباب التكريم الذي منحك الله إياه ، لأنك عشت للطين ، وأهملت النفخة التي كرمك الله بها أولا .

والحمد لله أولا وأخيرا وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

٤٨٣

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ـ أحكام القرآن للقاضي أبو بكر بن العربي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م.

٢ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود طبعة : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت

٣ـ بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي

٤ـ البحر المحيط لأبي حيان المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر بيروت

٥ـ تعظيم قدر الصلاة لأبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي ط: مكتبة الدارالمدينة المنورة الطبعة: الأولى، ١٤٠٦

٦ـ تفسير آيات الأحكام للمؤلف: محمد علي السايس الأستاذ بالأزهر الشريف المحقق: ناجي سويدان الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر تاريخ النشر: ٢٠٠٢

٧ـ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) للإمام: محمد رشيد رضا ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م

٨ـ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم المحقق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار بالسعودية الطبعة: الثالثة ـ ١٤١٩ هـ

٩ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط دار الغد العربي ـ القاهرة وط دار طيبة وتحقيق: سامي بن محمد سلامة طـ الثانية ١٩٩٩ م

١٠ـ التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب الناشر: دار الفكر العربي القاهرة

١١ـ التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ط دار الغد العربي ط الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٢ـ تفسير المراغي الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م

١٣ـ التفسير الوسيط للقرآن الكريم للمؤلف أ.د/ محمد سيد طنطاوي

طـ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى
١٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م
١٥- جامع الأحاديث للإمام جلال الدين السيوطي طبع على نفقة: د حسن عباس زكي
١٦- جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري تحقيق: أحمد محمد شاكر طـ مؤسسة الرسالة ط الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
١٧- الجامع لأحكام القرآن تحقيق أ.د/محمد إبراهيم الحفناوي ، وأ.د/ محمود حامد عثمان ط دار الحديث ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
١٨- روح البيان:لإسماعيل حقي الناشر: دار الفكر – بيروت.
١٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الألوسي تحقيق علي عبد الباري عطية طـ الأولى، ١٤١٥ هـ دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٠- الزهد والرقائق لابن المبارك المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي دار الكتب العلمية – بيروت
٢١- السنة لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل المحقق: د. محمد سعيد سالم القحطاني الناشر: دار ابن القيم الدمام ط الأولى، ١٤٠٦
٢٢- سنن ابن ماجه تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي
٢٣- سنن أبي داود المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
٢٤- سنن الترمذي تحقيق وتعليق: الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ط الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
٢٥- السنن الكبرى للنسائي المحقق: حسن عبد المنعم شلبي الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
٢٦- شرح السنة للبغوي تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٢٧- شعب الإيمان للإمام البيهقي ط مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ط- الأولى، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م
٢٨- الصحاح للجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٢٩- صحيح البخاري المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
٣٠- صحيح ابن حبان المحقق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣
٣١- صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط- دار إحياء التراث العربي - بيروت
٣٢- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية للشيخ علوان ط دار ركابي للنشر - الغورية، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م
٣٣- في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب ط : دار الشروق - بيروت- القاهرة ط: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ
٣٤- القاموس المحيط للفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
٣٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للإمام الزمخشري ط دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤١٥هـ -١٩٩٥م وط: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ
٣٦- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م
٣٧- اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بـ (التذكرة في الأحاديث المشتهرة) للإمام الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
٣٨- لباب النقول في أسباب النزول للإمام جلال الدين السيوطي ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي ط- دار الكتب العلمية بيروت لبنان

٣٩ـ لسان العرب لابن منظور ط. بيروت
٤٠ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا طـ دار الكتب العلمية بيروت طـ الأولى، ١٤١١ ـ ١٩٩٠
٤١ـ المسند للإمام أحمد المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م
٤٢ـ المصنف لابن أبي شيبة المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٩
٤٣ـ المعجم الكبير للطبراني دار النشر: مكتبة ابن تيمية القاهرة الطبعة: الثانية
٤٤ـ المفردات في غريب القرآن طـ دار القلم،الدار الشامية بيروت الطبعةالأولى ـ ١٤١٢ هـ
٤٥ـ مقاييس اللغة المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٤٦ـ مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م
٤٧ـ مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني الناشر:مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة
٤٨ـ نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ تأليف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح ابن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة
٤٩ـ النهاية في غريب الحديث والأثر تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي الناشر: المكتبة العلمية ـ بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م

فهرس الموضوعات